نظرية الفن للفن

بقلم الدكتور محمد النويهي

لا شك ان منهب الفن للفن وحده قد دالت دولته . ولكن لا يزال الكثيرون يعتقدون ان من الخطأ ان يحكم على الفن بمقاييس يعدونها خارجة عن طبيعته الفنية الخاصة .

الا اننا نلاحظ ان اعظم العقول كانت دائما تصر على النظرية الاخلاقية للفن ، وان يكن من الافضل ان نسميها نظرية تحكيم القيم العادية . معظم الشعراء والفنانين والنقاد العظام سلموا بهذا . سقراط وارسطو وهوراس ودانتي وسبنسر وملتون ونقاد القرن الثامن عشر وكلريدج وشللي وماثيو ارنولد – كلهم آمنوا بان الفن يجوز ان يحكم عليه كما يحكم على كافة مجالات النشاط الانساني ، وان القيم التي تطلب في هذه المجالات تطلب فيه ايضا .

الفن لايمكن ان يكون فنا عظيما الا اذا اهتم بزيادة نصيب الناس من السعادة ، او تحرير المضطهدين ، او توسيع قدرتنا على التعاطف بعضنا مع بعض ، او عرض الحقائق القديمة والجديدة على انفسنا وعن علاقتنا بالحياة بطريقة تزيد من شعورنا بالامن في بقائنا القصير في هذه الدنيا ، وكان فيه بالاضافة الى هذا كله نصيب من روح الانسانية بحيث يجد محله المنطقي الطبيعي في البنيان العظيم للحياة الانسانية .

ضد هذا نشأ في عصرنا الحديث الرأي القائل بأن قيمة الفن قيمة فريدة لا مثيل لها، معزولة عن القيم الاخرى وهو رأي يعتمد الى حد كبير على التمييز بين الشكل والمحتوى ، او بين الموضوع وطريقة التناول ، ويستند في اساسه الى الاعتقاد بوجود مثل للخيرتوجد في ذاتها وتقوم بكيانها وتعلو على الحواس وانها قيمة خالدة غائية .

ماذا كانت الاسباب التي اذاعت هذا الرأي في عصرنا الحديث كانت اسبابه متعددة ، منها تأثير هوستلر وباتر وتلامذتهما ، ومنها رد الفعل العام ضد رسكن في اسرافه في تحكيم النظرة الاخلاقية ، ومنها ما كان لعلم الجمال الذي وضعه الباحثون الاوروبيون والالمان من تأثير مفاجيء على الكتاب الانجليز حين درسوه ، فمنذ بداية البحث العلمي في نظريات الجمال اصر المؤلفون على وجودالتجربة الجمالية وجودا خاصا مستقلا كاملا تمكن دراسته منعزلا عن التجارب الاخرى . وكان من الاسباب ايضا النزعة العلمية التي تريد دراسة كل ظاهرة على حدة . فحين سمع النقاد الانجليز ان هناك شيئا يتعلق بالفن هو التجربة الجمالية تمكن دراسته منعزلا بطرق التأمل النفساني ، تقفزوا من هذا الى القول بان قيمتها ايضا يمكن عزلها ووصفها دون الاشارة الى التجارب الاخرى ، وبلغ الامر ان بعضهم قرر ان النشوة التي تنجم من الانتاجات الفنية تختلف وتنفصل تماما عن جميع النشوات الاخرى .

اقدر اصحاب هذا الرأي هو ا . سي . برادلي ، الذي يقول في كتابه محاضرات اكسفورد عن الشعر :

ماذا يعني تعبير «الشعر للشعر ذاته» وماذا يشرح من طبيعة التجربة الشعرية ؟ هو يعني اولا – ان هذه التجربة غاية في حد ذاتها . تستحق ان يحصل عليها من اجلها هي ، لها قيمتها الذاتية ؛ ويعني ، ثانيا – ان قيمتها (الشعرية) هي وحدها كل قيمتها الذاتية ، قد يكون للشعر قيمة اخرى كأداة للثقافة او الدين ، لانه يعلم ويهذب ، ويرفق العواطف ، او يخدم القضايا النبيلة ، او لانه يجلب للشاعر الشهرة او المال او راحة الضمير ، هذا جميل . فلنعجب بالشعر لهذه المزايا ايضا ، ولكن مزيته الخارجية لا تحدد مزيته الشعرية كتجربة ممتعة للخيال . هذه القيمة الشعرية ينبغي ان نحكم عليها حكما داخليا محضا اما النظر الى الاغراض الخارجية سواء من جانب الشاعر وهو ينظم شعره او القاريء وهو يقرأه فانه يعمل على الحط من القيمة الشعرية اذ يغير من طبيعة الشعر جزءا من العالم الحقيقي ولا ان يكون نسخة منه (بالمعنى المعتاد لهذه الكلمة) بل ان يكون عالما قائما بذاته ، مستقلا ، كاملا حاكما لنفسه بنفسه .

يبدو ان هناك مسائل أربع تستحق المناقشة هنا .

(١) الاشياء التي يذكرها الدكتور برادلي كامثلة للقيم الخارجة ، وهي الثقافة والدين والتعليم وترقيق العواطف وخدمة القضايا العادلة وشهرة الشاعر وغناه وراحة ضميره، كل هذه الاشياء واضح انها على مستويات مختلفة ، ولكنه يشملها جميعها بحكمه أنها لا يمكن ان تقرر القيمة الشعرية لتجربة جمالية ، فكون التجربة الشعرية ذات قيمة شعرية لا يعتمد على أي من هذه القيم في نظره . ولكن لا شك أن هذه الاشياء التي ذكرها تختلف في علاقتها بالتجربة الشعرية . فالثقافة والدين والتعليم في وجوه معينة وترقيق العواطف وخدمة القضايا العادلة قد تكون متصلة اتصالا مباشرا بالقيمة (الشعرية) الخالصة للتجربة . والا صار الوصف (شعري) مجرد صوت فارغ لا معنى له . أما شهرة الشاعر وجائزته وراحة ضميره فواضح أنها لا صلة لها .

(٢) ما يقوله الدكتور برادلي عن التجربة الخيالية ، أنها يحكم عليها حكما داخليا محضا ، قد يقود الى الالتباس وسوء الفهم ، ففي معظم الاحوال لا نحكم عليها حكما داخليا.

القيت في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

وحكمنا على قيمتها ليس جزءا منها · فنحن نحتاج غالبا الى ان نخرج عنها لكي نستطيع أن نحكم عليها بالذاكرة أو بالنتائج الاخرى المترتبة عليها والتي قد تدل على قيمتها · فاذا كان قوله أن نحكم عليها حكما من الداخل يعني أن نصدر حكمنا وهذه الآثار المترتبة لا تزال غضة قوية فاننا قد نوافقه · ولكن في اصدار هذا الحكم لا يمكننا ان نتغاضى عن محلها في البنيان العظيم للحياة الانسانية · فان القيمة التي لها تعتمد على هذا المحل ، ولا يمكن ان نحكم على تلك القيمة الا اذا راعينا محلها وراعينا قيمها الخارجة الكثيرة التي لا عدد لها · فان تقدير قيمتها ليس شيئا سوى مراعاة جميع الاعتبارات وكيف ترتبط جميع الاشياء بعضها ببعض ·

(٣) هو يقول ان مراعاة الاغراض الخارجة سواء من جانب الشاعر وهو ينظم ومن جانب القارىء وهو يجرب يحط من القيمة الشعرية ، ولكن الامر يتوقف على هذه الاغراض الخارجة، ما هي ؟ وعلى الشعر ، ما نوعه ؟ فلا شك أن هناك أنواعا من الشعر تنحط قيمتها اذا أقحمت الاغراض الخارجة ولكن من الواضح أن هناك أنواعا أخرى من الشعر تعتمد قيمتها كشعر اعتمادا مؤكدا مباشرا على الاغراض الخارجة التي ترتبط بها · تأمل في مزامير داود، واصحاحات أشعيا ، وأناجيل العهد الجديد ، وشعر دانتي ، و (تقدم الحاج) لبنيان ، وشعر رابليه، وفي أدب السخرية ذي القيمة العالمية الحقة مثل سويفت وفولتير وبيرون · في جميع هذه الحالات كانت مراعاة الاغراض الخارجة ضرورة لازمة في عمل النظم ، لا يمكن ان يجادل أحد في هذا ولكن هل يستطيع القارىء أن يقرأها دون أن يراعى هو نفس هذه الاغراض ؟ لا نظن هذا ممكنا ·

هناك حالات أخرى مضادة لم يراع فيها الشاعر أغراضا خارجة ولا يجوز للقارىء أن يراعى أغراضا خارجة ، فهذه نسلم فيها بصحة كلام برادلي · ولكن خطاه أنه كمعظم النقاد لم ينتبه ان الشعر من انواع مختلفة وكل نوع يحكم عليه بمبادىء مختلفة ·

(٤) قوله «ان طبيعة الشعر ليست أن يكون جزءا من العالم الحقيقي او نسخة منه، بل هي ان يكون عالما قائما بذاته مستقلا كاملا يحكم نفسه بنفسه ، ولكي تمتلك هذا العالم امتلاكا كاملا يجب عليك أن تدخله وأن تخضع لقوانينه وأن تتغاضى مؤقتا عن العقائد والاهداف والظروف المعينة ألتي تكون لك في العالم الآخر الحقيقي» ·

هذه العقيدة تصر على الفصل بين الشعر والحياة ،فصلا تاما لا يسمح الا بعلاقة «سفلية» كما يسميها برادلي ·ولكن هذه العلاقة السفلية هي ذات الاهمية القصوى ، فان جميع ما في التجربة الشعرية من قيمة شعرية قد دخل من خلالها· ليس لعالم الشعر أي وجود حقيقي مختلف عن سائر العالم، وليس له أي قوانين خاصة ولا أي خصائص من طبيعة مخالفة لطبيعة العالم · فهذا العالم يتكون من تجارب من نفس الانواع بعينها التي تاتي الينا من طرق أخرى · صحيح أن كل قصيدة هي قطعة محدودة من التجربة ، قطعة تنهدم اذا دخلتها عناصر غريبة ، فهي منظمة تنظيما أعلى وأرق من التجارب العادية في الشارع والحقل · هي هشة قابلة للكسر ، ثم انها قابلة للانتقال ، ويمكن ان تجربها عقول كثيرة مختلفة بدون اختلاف جسيم في هذه التجربة · وهذه القابلية من شروط تنظيمها ، وهذا هو اختلافها الاساسي عن سائر التجارب التي تشبهها أقرب الشبه في القيمة، وهو انها يمكن نقلها الى آخرين ، ولهذا السبب يجب علينا حين نجربها أو نحاول تجربتها أن نحرسها من اقحام العناصر الغريبة عنها ، ولهذا نحدث شيئا من العزل ونقيم حدا بين القصيدة وبين ما هو غريب عنها في تجربتنا ، كل هذا صحيح ، ولكن هذا ليس فصلا بين أشياء مختلفة بل هو فصل بين أنظمة مختلفة لنفس النشاط ، وليس بينها من هوة سحيقة · وفصل التجربة الشعرية ليس الا تحريرها من المؤثرات والعناصر الغريبة · أما الخرافة التي تزعم أن التجربة تغير من طبيعتها حين تنظم شعرا فهي ناشئة من الحديث المبهم عن الشعر والشاعري بدلا من التفكير الدقيق في التجارب الفعلية التي تتكون منها القصائد ·

ان عزل التجربة الشعرية عن موضعها في الحياة وعن قيمها الخارجة يؤدي الى اختلال وضيق ونقص في الذين يخلصون الدعوة الى هذه العقيدة · فانه يؤدي الى محاولة تشطير القارىء الى عدد من القوى أو الاقسام المنفصلة لا وجود له في الحقيقة · لا يمكن ان يقسم القارىء الى كل هذا العدد من الرجال ، الرجل الجمالي ، والاخلاقي ، والعملي ، والسياسي ، والثقافي الخ ــ هذا غير ممكن · ففي أي تجربة صادقة لا بد ان تدخل جميع هذه العناصر · ولو أمكن هذا التقسيم لكانت النتيجة قاضية على تمام الحكم النقدي وعدالته· لا يمكننا ان نقرأ شللي قراءة صحيحة ونحن نعتقد ان جميع آرائه هراء وخرف · ولا يمكن ان نقبل اقبالا جماليا محضا او شعريا صرفا على قصيدة دينية حارة بحيث لا تدخل في حسابنا أهداف الشاعر او الاغراض الخارجية · فان حاولنا فان هذا في نظرنا مجرد جبن فكري يصدر من رجل ليست لديه القوة الكافية ليقوم باعباء الادب العظيم ·

كل الانواع العظيمة للشعر تحتاج في قراءتها الصحيحة الى ادخال جميع القيم العامة التي ليست مجرد هوى شخصي من القارىء نفسه · يجب ان يقبل عليها القارىء بكل فكره وحسه ووعيه الفني والخلقي والثقافي والديني ، والا يجعل شيئا يحول بينه وبينها ، والا يتعمد اغلاق جزء من نفسه وتكوينه عند قراءتها · أما اذا حاول ان يتجاهل جميع الاعتبارات ما عدا تلك العناصر الجمالية المزعومة فانه ينتهي الى برج عاجي ينعزل فيه عن حقيقة الحياة ·

القاهرة

محمد النويهي

الحب والشعر والعروبة

ازهر القلب ازهاره كالــروح تبقــــى
والشــذى النشوان رفاف كما رفت فراشه
والنسيم السادر الهفهاف يرمـي بانتعاشه
ومتى نمش الى الروض نجـد للحب سبقا
هــو يغرينا ويصمينـا بسهم قـد اراشه

فاض ينبوع بماء يتثنــــى من نمــير
من صميم التــرب طفت رشفة نحو الحبيب
ظمئت للحب لم تطفأ وهامت كالقلــــوب
الهوى بان على الانســان من سوء المصير
واختفى في النجم والازهار والنهر السكوب

شقشقت شعرا وغنته وفي الامساء صاحت
بنت اغصان لبنان علمت فــن الهــزار
هي من نفح الاعالـي اسكرت ريح البراري
حين يسمو الصوت قل لي كم بهيمان اطاحت
انت منهم وانا المعمود لمــاح الــدراري

نثر الشعر حواشيه على الافــق مســاءا
واطل الكوكب السابق اطلال النديـم
ذاك «شوقي» الذي يرصده اهــل النجوم
سطعت مــن نحوه كوكبــة عمت ضياءا
وخوى من بعدها الافــق مطيفا بالغيــوم

تلك اعرابية مدت على الامصار مجــــدا
حشحشت من طينة الاجداد ارواحــا وغراسا
وتكمت بسلاح يملاه الافــاق جرســــا
ويك ذئبا ، لا تراوغ ، دارنا تختال اسدا
في نداء الطفل منا صرخــة تهتاج بأســا

رفرفت اعلامنـــا فوق المغاوير الابـــاة
وكتبنا بالــدم الغالي اناشيد الملاحــم
ومزاج الترب للعـــرب مدى الارض جماجم
فاذا شئنا سلاما ووئاما فــي الحيــاة
عدة الحرب حمانـــا من عدو ومهاجـــم

دمشق　　　　　　　　زكي المحاسني

امثال اللبنانيين في الصحة والمرض

بقلم شفيق طبارة

عرف لبنان منذ القدم بطيب مناخه وخصب ارضه وروعة مشاهده الطبيعية كما اشتهر عن اهله فيما اشتهر حبهم للنظافة وعنايتهم الفائقة بالصحة وقد بلغوا في هذا المجال شأنا ملحوظا ومطبوعا بطابعهم الخاص فهم اجمالا سليمو الاجسام صحيحو البنية وتتبوأ الصحة المنزلة الاولى في نفوسهم وهذا يتمثل أجمل ما يتمثل في تقديرهم جميعا لنعمة العافية ونشدانهم لكل ما يبعث على الصحة والامن وذلك وفقا لما قالته العرب في امثالها (نعمتان مجهولتان العافية والامان) ولما ورد في الحديث النبوي الشريف (العلم علمان : علم الابدان وعلم الاديان) ولقول الشاعر :

انما العيش صحة وشباب ... فاذا وليا عن المرء ولى

ولما قيل (العقل السليم في الجسم السليم) .

وإذا كان الناس قد اجمعوا على تقدير الصحة فقد اختلف نظر القدامى الى المرض والعلاج عن المحدثين . ففي البدء اعتقد الناس ان المرض عمل طائفة الارواح الشريرة وان الوسيلة لمطاردتها والقضاء عليها ان امكن هو السحر فالسحر في نظرهم وسيلة من وسائل التخلص من الارواح الشريرة او بعبارة اخرى وسيلة من وسائل العلاج والشفاء كما انه سبب الداء ولو رجعنا الى مدلول لفظ الطب في معاجم اللغة لرأينا الطب هو السحر قال ابن الاسلت :

الا من مبلغ حسان عني ... أطب كان داؤك ام جنون

ورواه سيبويه : أسحر كان طبك أم جنون . وقال ابو عبيدة : انما سمي السحر طبا على التفائل بالبرء .. وطب اي سحر والمطبوب المسحور . واذا كان المرض من عمل الشياطين فالعلاج يجب ان يأتي من عند الالهة . وفي الحديث : فلعل طبا اصابه اي سحرا .

والاسطورة البابلية تحدثنا ان الاله (ايا) رب الحكمة واله المعرفة وهو الجد الاكبر للاطباء . (واس) في البابلية الطب و (اسوت) عبارة عن علم الطب وعن اللغة البابلية الاشورية انتقل الى سائر اللغات السامية كالارامية والعبرية و (الاسا) في العربية مفتوح مقصور المداوان والعلاج واسا الجرح داواه والاسو والاساء جميعا الدواء والمواسي الطبيب ومنها المؤاساة (١)

ولما تطورالبشر عد المرض او البلاء على اختلافه عقوبة الهية يقتص بها الرب من اصحاب الذنوب والخطايا على انه لم يمض زمن طويل حتى اخذ الطب يفسح الطريق لطب اخر يعتمد على الخبرة والتجارب اكثر من السحر والشعوذة واعني الطب العلمي الحديث . وفي رأي عوام اللبنانيين ان الطب تجربة واختبار فقالوا في امثالهم (اسأل مجرب ولا تسأل حكيم) اي استفد من خبرة المجرب ولا تعتمد على علم العالم قليل الاختبار . ومن امثالهم في الصحة والمرض (تغدى وتمدى تعشى وتمشى) ويروى (تغدى وتمدى ولو دقيقتين وتعشى وتمشى ولو خطوتين) واصله من الفصحى . قال الحارث بن كلدة (اذا تغدى احدكم فلينم على غذائه واذا تعشى فليتخط اربعين خطوة) ويتضمن هذا المثل الدعوة الى القيلولة وهي الاخلاء للراحة والهدو او النوم الخفيف بعد تناول وجبة الغداء ويعللون ذلك ان الحر وقت الظهر يرهق النفس ويدعو الى التراخي والفتور فاذا زاد عليه ثقل الطعام لم تقو الاعصاب على المقاومة فيضطر الانسان الى الاستلقاء ثم النوم ويعتقد بعضهم ان الدم الموزع في اجزاء الجسم يتجمع في المعدة ويساعد الجهاز الهضمي على تادية عمله ويتضمن هذا المثل ايضا الدعوة الى المشي بعد العشاء اعتقادا انه يزيد في افرازالعصارات الهضمية ويسهل الهضم . والقيلولة عادة قديمة متبعة في البلاد الحارة ثبت ذلك ما جاء في الحديث (قيلوا فان الشياطين لا تقيل) وما ورد في سفر صموئيل اصحاح ٥ عدد ٥ حيث تقرأ (وسار ابنارمون البيثروتي وبعنة ودخلا عند حر النهار الى بيت ايشوشت بن شاول وهو نائم نومة الظهيرة) . ومن طريف ما يروى ان احد ملوك الفرس كان يشكو عسر الهضم فاستشار طبيبا من اشهر اطباء مملكته فأشار عليه احدهم ان يقوم ببعض التمارين الرياضية بعد وجبة الغداء مباشرة بينما خالفه الاخر واشار عليه بالاقلال من الحركة بعد الاكل فشاء الملك ان يتثبت بالتجربة من اثر قولهما فامر باطعام عبدين من عبيده ثم امر احدهما بالمشي والاخر بالاستراحة وبعد ساعة من الوقت امر بشق بطني العبدين فشاهد العبد الذي قام بالمجهودات البدنية لم يكن قد هضم ما اكل اما الاخر الذي استراح فكانت معدته فارغة ..

وقرأت في بعض الكتب ان هولاكو لما زحف على العراق وحاصر بغداد استشار احد قواد جيشه فقال له ان اصلح وقت للهجوم على بغداد هو الذي يلي وجبة الغداء فنزل هولاكو على رأيه وامر جنده بمهاجمة المدينة في الوقت الذي عينه القائد فلم يلق جنده ادنى مقاومة من اهلها فأثار ذلك دهشة الملك وعلم بعدما استولى الجند عليها انها لم تكن خالية من السكان كما تبادر الى ذهنه لاول

---

(١) عثر في بلاد العراق وما جاورها في الحفر التي قام بها بعض علماء الاثار على رمز الاله (ايا) وهو عبارة عن عصا التف حولها ثعبان واستدل منه العلماء ان الثعبان كان شعار الطب والاطباء في العالم القديم كما هو شعاره اليوم ويرجع هذا الرمز الى البابليين والشعوب العربية التي عاصرتهم اما السر في اختيار هذه الافعى فهو الاعتقاد بان الثعبان باستبداله ثوبا (جلدا) بثوب يجدد شبابه فيكتسب حياة جديدة فالثعبان اذن خالد لا يموت لذلك قدس قديما واتخذ كرمز من رموز الحياة الابدية.

وهلة ولكن اهلها كانوا كعادتهم نائمين نومة الظهيرة ..

ويقولون (اللي بياكل رغيف ما هو ضعيف) ومعنى المثل ان كثرة الاكل من دلائل الصحة . واحسب ان هذا المثل ليس ثابتا في كل حال ذلك لان المسلولين ينفردون بالاحساس بالجوع ويتناولون كميات كبيرة من الطعام يزيد عن حاجتهم وينفردون كذلك بسحنة خاصة اي بالوجوه الصفر الشاحبة والعيون الغائرة وبهزال يتناول اجسامهم باجمعها . وهذا مثل قولهم (كل شيء بيوجعو الا مبلعو بياكل رغيف وخيو وبدل على الثاني باصبعو) مبلعو اي بلعومه وخيو اي اخوه واصبعو اي اصبعه ويضرب المثل للاكول الذي لا يبقي على الخوان شيئا من الطعام ويقولون : (يا طالب الصحة من البوشرية) ويضرب مثلا للرجل يطلب الحاجة في غير موضعها او لمن يطلب محالا والبوشرية قرية على بعد بضعة كيلومترات شرق مدينة بيروت ومن حديثها انها اشتهرت في الماضي بكثرة مستنقعاتها المسببة لحمى الملاريا وحمى الصفراء . وفي هذه المنطقة عين يقال لها (عين فرشلو) اي افرش له وبجوارها نهر يقال له نهر الموت .

وذكر بعض المؤرخين في اصل هذا الاسم ان معركة دامية حصلت قديما على ضفتي هذا النهر بين الأمراء الارسلانيين والنصارى ولهذا سمي بنهر الموت لكثرة عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم في تلك المعركة ..

وهذا مثل قولهم (برج حمود قال للبوشرية : اللي بيكسد عندك رديه علي) وبرج حمود يقع بجوار البوشرية ويشبه البوشرية بمناخها . وذكر هنري غيز في كتابه (بيروت ولبنان سنة ١٨٤٧) قال : ان المكان الوحيد الذي لا يصلح للسكن في هذه البلاد هو الواقع على ضفتي نهر بيروت حيث تكثر المستنقعات وينشأ عنها البعوض فيحمل الحميات ويؤذي بحياة السكان وهم في مقتبل العمر حتى قيل انه قلما يرى الولد اليافع اباه او جده .. وهذا مثل قولهم (ياطالب العقل من العصفورية) والعصفورية ضاحية تقع في جنوب شرق بيروت حيث يقوم مستشفى الامراض العقلية ويحمل اسم تلك الضاحية . وكذلك يقولون (يا طالب الدبس من قفا النمس) والنمس حيوان قصير اليدين والرجلين يصيد الفار والحيات وهو قريب الشبه بابن عرس و (تامل ابليس بالجنة) و (يا طالب الفرج من عميق) ويروى خطأ (يا طالب الضيق من عميق) وعميق مكان في البقاع اشتهر بمستنقعاته .

ويقولون (نام بكير وقوم بكير وشوف الصحة كيف بتصير) وهذا القول الحكيم اتخذ كحقيقة ثابتة وغدا عرفا جاريا في فائدة النوم المبكر ومضار السهر .

ويقولون (بنام مثل الدجاج وبقوم مع بليق) وبليق عصفور صادح لونه مبرقش ويغرد مع طلوع الفجر ويضرب المثل للرجل الذي تعود النوم والصحو في ساعة مبكرة ويقولون (نومة الضحى بتطول اللحى) ويراد به ان الاستغراق في النوم صباحا من دلائل الكسل والخمول وليس وسيلة لجمع الثروة وهذا قريب من قولهم (نوم السراري للضحى العالي) والسراري جمع سرية وهي الجارية التي كانت قديما تتخذ للتسري حتى اذا حملت اعتقت وعقد عليها وهي منسوبة الى السر وهو الاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها اي يخفيها عن زوجته . وكان العرب يصفون المرأة الرقيقة بانها (نؤوم الضحى) ومعنى ذلك انها لا تستطيع الاستيقاظ في برد الصباح لانها في رقة الورد والمورد لا يستيقظ في ساعات البرد .

ويقولون (مكتوب على ورق الخيار اللي بيسهر الليل بنام النهار) ويضرب المثل لرجل يتهافت على الملذات فيضطر ان ينام في النهار لينصرف الى مجونه في الليل وشبه بالخيار لان ورقه يتفتح في الليل ويذبل في النهار

ويقولون (فالج لا تعالج) اي ان الفالج لا تفيد فيه العلاجات ولذلك فهم يتركونه يأسا بدون علاج وقيل سمي بذلك لانه يأخذ شطرا من البطن في الغالب فيبطل احساسه وحركته ويندر وقوعه في الشقين . وينقض بعضهم هذا بقولهم (يروق الفالج بعد سبعة ايام او سبعة اشهر او سبع سنين) ويروق اي يشفى .

ويقولون (وجع ساعة ولا كل ساعة) ويساق المثل في الحث على احتمال الوجع ايراد به كذلك الحث على سرعة التداوي حتى لا يستعصي مداواة الداء . وفي هذا المعنى قالت العرب في امثالها (من طالت علته كان القبر مأواه) وتقول العامة ايضا (ما بيشيل المر الا الامر منه) وقريب مما تقدم قولهم (خرس المعيوب اقلعه تستريح) ويضرب في الاستغناء عن الشيء الدون .

ويقولون (من خفى علته قتلته) ويضرب في وجوب المبادرة الى علاج العلة حتى لا تستفحل فتقتل صاحبها . وهذا قريب من قولهم (هم بهم والكي احسن من الدم) و (ما في علة الا ولها دوا) و (ما زال لا بد من شرب الكينا وليش وجع الرأس) و (والجرب ما هو عيب العيب على اللي ما بيشيلو) . والجرب من الامراض الجلدية التي كانت مستأصلة في لبنان . وكان المصابون به يستشفون بالحمامات العمومية ويدهنون اجسامهم بالادوية الكريهة الرائحة وقالت العرب (وقوع البلا ولا انتظاره) و (وقلع الضرس ولا دوام الالم) رواهما الميداني . وفي الحديث (يا عباد الله تداوا فان الله عز وجل انزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء) .

ويقولون (ما ببول على اصبع مجروح) ويضرب للرجل الشحيح . ومن عادة بعض العوام ا ن يبولوا على الاصبع المجروح ويزعمون ان ذلك يساعد على التئام الجرح ...

ويقولون (اربط ايدك مليح بتستريح) ويراد باليد ههنا اليد المجروحة · ويضرب في الحث على اتخاذ الحيطة في كل امر · وهذا مثل قولهم (اربط جرحك مليح لا بعمل ولا بقيح) ·

ويقولون (بدنا شيء نحط على الجرح) ويضرب لمن يرضى بالتافه الذي لا قدر له دون التام الوافر مثله كمثل الجريح الذي يبادر الى تناول اي دواء يقع تحت يده وكيفما اتفق رجاء البرء ·

ويقولون (اشد الاوجاع الحاضرة) يعني ان الاوجاع الماضية حتى المؤلمة تنسى اما الاوجاع الحاضرة هي الحقيقية فتبدوا اشد ايلاما من غيرها ·

ويقولون (بداري وبيجرح) ويروى (بيجرح وبيربط) ويضرب لمن يخاصم الناس ثم لا يلبث ان يصالحهم ·

ويقولون (وجع الضرس ووجع الفلس ووجع العين غطى على الجهتين) والمقصود بوجع الفلس ههنا البواسير أو الناسور والمعنى واضح ·

ويقولون (لـو امي بتعرف باسناني بتهيء لي (اكفاني)ويضرب مثلا لشيء بلغ الغاية من الالم والشدة

ويقولون (كل الوجع من القديسة) القديسة نوع من العوسج·واصل المثل ان فلاحا كان ذات يوم يقتلع الشوك النابت في حقله فعقرته شوكة في يده فسببت له ورما مؤلما وعاد الى البيت ولزم فراشه · وفي المساء دخل عليه صديق له عائدا فاشار عليه ان يضع لزقة من ورق القديسة على مكان الورم فقال له المصاب : كل الوجع من القديسة·· وذهب قوله مثلا ويضرب لمن يلتمس العون من لئيم ·

ويقولون (موية الجارية بارية) موية من موي في لغة العوام اي الماء · بارية نظيفة ·

ويقولون (ما فيه دم) ويضرب للضعيف عديم الهمة ·

ويقولون (البرد سبب كل علة) ويضرب في تجنب البرد الشديد· وهذا مثل قولهم (الحر بحرنا والبرد بضرنا) و (الدفا عفا ولو كان بعز الصيف) يقولون (الفحمة ولا اللحمة) اي ان زاد الفحم وقت البرد أفضل من زاد اللحم·

ويقولون (عود بطنك على رغيفين ولا تعود جسمك على حاجتين) ويراد بالحاجتين ههنا الملبوس ويضرب المثل في النهي عن الأفراط في الدفء والانطواء بين ثنايا الملابس الثقيلة حتى لا يتعرض الجسم الى صدمة التغيير الجوي المفاجيء ·· وقالت العرب (البرد والقلة سبب كل علة) و (توقوا البرد في اوله وتلقوه في اخره فانه يفعل في الابدان كفعله في الاشجار اوله يحرق وآخره يورق)·

ويقولون (آخر دواء الكي) ويضرب في نفاد الحيلة وللامر بلغ غايته في الشدة والصعوبة والكي احراق الجلد بحديدة حامية لمعالجة الدمل وبعض الامراض الجلدية وهذه الطريقة كانت تستعمل في القديم وما زال بعض العوام يلجأون اليها عند اقصى الحالات شدة وعند بلوغ الداء اقصاه · ويستعمل الكثيرون كي الراس لازالة الصداع والبثور التي تظهر في الوجه ومعنى المثل ان المريض يعالج بالادوية فان لم توافقه عولج بالكي ولا يبقى بعده دواء يريحه الا الموت ·

ويقولون (اللي ما ذاق المغراية ما بيعرف شو الحكاية) والمغراية اناء لتذويب الغراء على النار واصل المثل ان نجارا كان يذوب الغري في اناء ليستعمله في صنعته فانقلب وسبب له حروقا في يديه فمر به رجل وشاء ان يخفف عنه ما اصابه فقال له النجار : اللي ما ذاق المغراية ما بيعرف شو الحكاية وذهب قوله مثلا ويعني ان من لا يعاني الوجع لا يدرك حقيقته ولا يعرف الشيء احد كمن يختبره ويمتحنه وهذا قريب من قولهم (قال الاعمى ما أصعب فقد البصر قال له الاعور : عندي نصف الخبر) واصل المثل فيما يقال ان اعمى واعور وقفا يشحذان بباب احد المعابد فالتفت الأول للثاني وقال انه لمؤلم حقا ان يحرم المرء من رؤية الناس وهم يمرون من امامه فرحين ضاحكين فقال له الثاني : عندي نصف الخبر ···

وفي ذلك قال شاعر ظريف :

سمعت اعمى مرة قالا ... يا قوم ما اصعب فقد البصر
اجابه الاعور من خلفه ... عندي من ذاك نصف الخبر

وهذا مثل قولهم (اللي بياكل العصي مش مثل اللي بعدها) و (ما بيعرف المصيبة الا اللي حاملها) وقالت العرب (لا يعلم ما في الخف الا الله والسكاف) رواه الميداني ·

ويقولون (طبني طبتك العافية) ويضرب المثل في الغباوة المطبقة ·

ويقولون (الموجوع بيتعلق بحبال الهوا) ويروى (الغريق بيتعلق بحبال الهوا) ويقصدون بحبال الهواء كناية عن الاماني لان اشعة الشمس تبدو وقت الغروب كأنها جبال ذهبية ممدودة في الفضاء · ويضرب المثل للموجوع الذي يعلل نفسه بالاماني ويقال ايضا في حالات اليأس بمعنى ان المصاب بنكبة ينشد الخلاص مما هو فيه كيفما اتفق · وهذا مثل قولهم (غريق النوى يتعلق بحبال الهوا) ·

ويقولون (جسمو منعنع بشوكو وبر الخيار) ويضرب للضعيف الناعم رقيق المزاج ·

ويقولون (بيسلي الحمى بقشور بطيخ) ويضرب لمن يتلهى باليسير ومن عادة العوام ان يضع قشر البطيخ على رأس المحموم ويزعمون انها تخفض حرارة الحمى !··

ويقولون (الف برغوث يعقصني ولا بطني يمغصني) يعني ان المرء يتعود على عقص البراغيث فلا ينزعج منها اما وجع المغص فيتعدى حد الاحتمال ·

ويقولون (الانسان بيحفر قبرو بسنانه) ويضرب في الحرص على الاعتدال في الاكل وهي الحمية المعروفة باسم (الرجيم) • وهذا مثل قولهم (لا تندم اذا قمت عن الاكل قبلما تشبع) و (نبشوا القبور لقيو ثلثين العالم ميتة استهتار) و (جوع شهر بتعيش دهر) و (كل شيء بياكل وبيشتر ما عدا ابن ادم بياكل وبينضر) • وجاء في القرآن الكريم سورة الانعام (كلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين) وفي اقوال العرب المأثورة (اقلل طعامك تحمد منامك) و (ثلاثة تورث ثلاثة: النشاط يورث الغنى والكسل يورث الفقر والشراهة تورث المرض) رواه الجاحظ و (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء) و (البطنة آفة الفطنة) و (قال بعض الحكماء الشبع داعية للبشم والبشم داعية للسقم والسقم داعية للموت) و (والبطنة اصل الداء والحمية رأس كل دواء) وقال بعض شعراء العرب :

ثلاث مهلكات للانام ... وداعية الصحيح الى السقام
دوام مدامة ودوام وطء ... وادخال الطعام على الطعام

و(رب اكلة منعت اكلات) رواه الميداني وقال ابن سيناء :

اجعل غداءك كل يوم مرة ... واحذر طعاما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فانه ... ماء الحياة يراق في الارحام

وقال حكيم (راحة الجسم في قلة الطعام وراحة الروح في قلة الانام وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة اللسان في قلة الكلام) وفي الحديث (نحن قوم لا ناكل حتى نجوع وان اكلنا لا نشبع فمن اين تاتينا الامراض) وكذلك (احب العفاف الى الله تعالى عفاف الفرج وعفاف البطن) وايضا (ما ملأابن آدم وعاء شرا من بطنه) وايضا (اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين مورثة للسقم مكسلة عن العبادة) وايضا (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء) وايضا (حسب ابن ادم لقيمات جلبه • وان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للتنفس) وقالت العرب في امثالها (من قلل الغذاء زاد نشاطه) و (الابتلاء من الامتلاء) •

ويقولون (مالك عيشة الا بعد الدشيشة) والدش مثل الجش والدشيشة لغة الجشيشة وجش الحب طحنه طحنا غليظا جريشا والدشاش من يرض الحبوب ويقال حب مدشوش اي مرضوض وتطلق كناية عن البثور التي تظهر على جسد المصاب وتشبه القمح المدشوش والدشيشة في لغة العوام الحصبة وهو مرض شائع ومعدي ويتفشى بشكل ملحوظ بين الاطفال خاصة ويظهر ببثور حمراء في الجسم • والمشاهد ان المصابين به يتحسن حالهم بعد ابلالهم منه •

وينقض بعض العامة هذا بقولهم (بعد الحصبة مثل القصبة) اي منهوك القوى ويقولون (شاف مصر وبطل يرمد) ويضرب للرجل يخاف الامر فيجزع قبل وقوعه فيه • والرمد داء من اهم امراض العيون واكثرها انتشارا وتوطنا في القطر المصري والمناطق الحارة ويصيب الجفن ويقلل من قوة النظر وقد يذهب به كله اذا اهمل علاجه وعدوى الرمد تنتقل من مريض الى آخر بطرق مختلفة من الذباب وازدحام السكان واستعمال فوط الوجه غير النظيفة وغيرها وهو كثير الانتشار بين الطبقات الفقيرة وهذا ما دعا بعض الناس الى تسميته بمرض الفقر •

ويقولون (الفزع بطير الوجع) اي ان الطاقة العصبية تنقص بسبب الانفعالات النفسية فلا يشعر المرء عادة في هذه الغمرة بالوجع لشدة ما يعتريه من الخوف •

ويقولون (علة او مرض حيا الله ينقضي الغرض) ويضرب في تهوين الامر ومعنى المثل ان لا اهمية للوسيلة وانما الذي يهم النتيجة •

ويقولون (اخرا تبرا) واصل المثل ان ملكا دعا ذات يوم اطباء مملكته وامرهم ان يضعوا له مؤلفا يحوي جميع الارشادات الصحية • وبعد انقضاء مدة من الوقت قدم الاطباء دراساتهم مكتوبة في عدة مجلدات فامرهم الملك ان يختصروها لان قراءة هذه المجلدات تستغرق اوقاته الثمينة فانصرف الاطباء وعادوا بعد مدة يحملون مجلدا واحدا وقالوا للملك ان هذا المجلد يحوي كل ما امرتنا بجمعه فجعل الملك يقلب صفحات المجلد فوجدها بيضاء الا من عبارة مكتوبة على غلاف المجلد باحرف دقيقة ان قوانين الصحة تتلخص في كلمتين اخرا تبرا • وذهبت مثلا •

ويقولون (اجا تيكحلها عماها) ويضرب لمن هم باصلاح شيء فافسده وهذا مثل قولهم (اجا تينطلها كان يعطلها) و (وداويناه تا يبرا كان يشخ صار يخرى) و (وتحركش بالحمى تاجتو البردية) •

ويقولون (كل واحد بيفصدوه على قد دماتو) ويضرب للاجرة ياخذها العامل على قدر عمله كذلك على الاطباء ان يتقاضوا اجورا عن اتعابهم بقدر يختلف باختلاف مكانة المرضى كما انهم لا يفصدون المريض الا بقدر ما تتحمله حالته الصحية والحجامون هم الذين كانوا قديما في لبنان يفصدون المرض في فصل الربيع وكانوا يتقاضون مما يملك ارضا بعد غلات الارض ومن رجال الدين الدعوات الصالحات •••

ويقولون (ما حدا بيضرب الشيش بخشيش) والمقصود بالشيش ههنا سيخ حديد يستعمل لكي المريض والبخشيش العطاء بدون مقابل • ويقال ان اول من قال ذلك رجل كان يدعي الطب فاستشاره مريض فاشار عليه بالاستكواء فما كان من المريض الا ان مد رقبته على الفور

فالتفت اليه الرجل وقال : مـــا حـــدا بيضرب الشيش بخشيش فذهبت كلماته بالامثـــال ويعني ان لا احـــد ينال شيئا بدون ثمن ولا يقوم بخدمة بدون اجرة ٠

ويقولون (بتضل النفس بضيقة تاتحضر الترويقة) ويقال ايضا (تروق ولا تتعوق) والترويقة طعام الافطار ويعني المثل انها اصلح الوجبات لقوت الجسم لان المعـــدة تكون في الصباح خالية لذلك ينصحون بتناول الفطور لانه يكسر حدة الجوع فلا يجد الانسان مشقة في الاقلال مـــن طعام الغداء والغداء الخفيف اوفق للطبقة العاملة مما هـو لغيرهم ذلك لان الحر عندنا يرهق النفس ويدعو الى التراخي والفتور فاذا زاد عليه ثقل الطعام لا تقوى الاعصاب عـــلى المقاومة فيضطرون الى الاستلقاء ثم النوم فينصحون مـــن يحتاج الى العمل طول النهار ان يتناول فطورا حتى اذا جاء وقت الظهر لا يكثر من طعام الغداء ولا يثقل العمل عليـــه ولا يحتاج الى النوم بعد الظهر كما يفعل الاخرون ٠ وكان القدماء يراعون هذا الامر بدليل ما جاء في سفر القضاة اصحاح ١٩ عدد ٥ (وكان في اليوم الرابع فبكر صباحا وقام للذهاب فقال ابو الفتاة لصهره اسند قلبك بكسرة خبز فجلس واكل) وكان العرب يبكرون في الغداء ويرون ان ذلك اقرب الى راحة البدن وصحته ٠ وسئل ابن هبيرة عن ذلك فقال ان فيه ثلاث خصال (الاولى) انه ينشف المرة (الثانية) انه يطيب النكهة (الثالثة) انه يعين على المروءة ٠ قيل وكيف يعين على المروءة ؟ قال اذا خرجت من بيتي وقد تغديت لا اتطلع الى طعام احد من الناس !

ويقولون (العافية بتجي مـــن خروم الابر والمرض بيدفق دفق) يعني ان الصحة تاتي بشق النفس بينمـــا المرض يخرب الجسم كانه النهر الدافق ويضرب في الحث على رعاية الصحة والمحافظة عليها وفي ذلك قالت العرب (الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى)

ويقولون (الرمد خير من العمى) ويضرب في الرضا بالامر الواقع وفي شر اهون من آخر ٠

ويقولون (يا طبيب طبب نفسك) ويضرب لمن يدعي ما ليس فيه ٠ وفي امثال الرومان :

(Medice, cura te ipsum) وفي الجيل لوقا اصحاح ٤ عدد ٢٣ (فقال لهم على كل حال تقولون لي هذا المثل : ايها الطبيب اشف نفسك) وقالت العرب (يا طبيب طب (اي عالج) نفسك) و (طبيب يداوي الناس وهو عليل) رواهما الميداني وتقول العامة (مثل الجرس بيدعي الناس على الكنيسة وبيبقى برا) ٠

ويقولون (صحة البدن بالصوم) ويضرب في فائدة الصوم ٠ وفي الحديث (صوموا تصحوا)

ويقولون (قاللو : بي بيجبر المكسورة قاللو : بي بيجبرها قبل ما تنكسر) ويضرب لاسكات الدعي المغرور والفشار ٠ والجبر خلاف الكسر وهي شد العظام على استواء ٠

ويقولون (النظافة ثلتين الصحة) ويضرب في الحث على النظافة وفي الحديث (النظافة من الايمان) و (وان الله يبغض الوسخ الشعث)

ويقولون (بلد اللي تصلها كل بصلها) يزعم العـوام ان من يتقلب في البلدان يتعرض الى انحرافات صحيـــة ويردون سببها الى المياه المختلفة التي يتناولها المسافر فـي تنقلاته ولذلك اعتادوا ان يتناولوا بصلة جافة او خضراء عند قدومهم بلدا غريبا ويعتقدون انها تفيد في هذه الحالات لما عرف عن البصل من قديم الزمان من انه يكسب الانسان مناعة ضد الامراض خاصة في فترات تغير الجو وانه من المواد التي تؤثر على ما يوجد في القناة الهضمية مـــن مكروبات ٠ وقد اعتادت الحوامل والمراضع ان يكثرن من تناول البصل المشوي لما عرف عنه انه يدر اللبن وينقي الدم٠

ويقولون (درهم وقاية خير من قنطار علاج) ويضرب في توقي المرض قبل حلولـــه حتى لا يضطر المريض ان يتكبد نفقات التداوي وتناول العقاقير لاصلاح مـــا افسده المرض ٠ وهذه الحكمة اجمع الحكماء في كل العصور عـلى صدقها فقالت العرب (الوقاية ثلثين الطب) و (تضرع الى الطبيب قبل ان تمرض) رواهما الميداني ٠ وهذا قريب من قولهم (الانسان لازم يكون حكيم نفسه) و (بيت اللي بتفوت منه الشمس ما بيدخله طبيب) وجاء في الحديث (اغتنم خمسة قبل خمس : شبابك قبل هدمك وصحتـك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) ٠

ويقولون (الخير بخير والشر بغير) ويعني المثل ان للنعمة اثرا بالغا في صحة البدن ونضارة الوجه بينما الهم شر يقتل الحيوية ويجلب العلل وهذا مثل قولهم (خبز شعير وموية بير والعافية بتصير) ٠

ويقولون (قبل ما يجي الترياق من العراق بيكون العايل فارق) يضرب للمساعدة تاتي متاخرة ٠

ويقولون (الله يجبرنا من الحاكم والحكيم) ويضرب في جور الحاكم وجهل الطبيب٠

ويقولون (يا شمس يا شموسه خذي سن الحمار وعاتي سن العروسة) واصله اغنية شعبية يتناثرهـــا الصبيان في هذا المجال ٠ ويذهب العامة الى ان للشمس اثرا في انبات الاسنان ولذلك اذا سقطت سن طفل طلب اليه اهله ان يلقي بها في وجه الشمس لكي تعطيه سنـــا خيرا من تلك السن التي سقطت ٠ وهذا المعتقد العامي الذي يعيش بيننا حتى اليوم كان فيما توارثناه مـــن معتقدات العرب منذ قديم الزمان فقد روي عن (الشعبي) احـــد القضاة في عهد الدولة الاموية انه سأل جلساءه عن معنـى

قول الشاعر :

بدلته الشمس من منبته بردا ابيض مصقول الاثر

فلم يدر احد منهم جواب سؤاله فقال لهم : كان الصبي في الجاهلية اذا سقطت من فمه اسنان الرضاع اقبل بسنه على الشمس فرماها ثم قال : ابدليني خيرا منها ·

هذا فيما يردده اللبنانيون من امثال في الصحة والعلاج اما الخرافات العالقة في اذهانهم في صناعة الطب والتطبيب فاني اورد هنا طائفة منها وهي قليل من كثير مما رسخ في عقول العوام من اوهام ·

فمما شاع لديهم من تاثير الجن في الأجسام انهم اذا مرض منهم مريض لجأوا الى العرافين وهؤلاء يجسدون الاوهام ويبلبلون الخواطر فيزعمون ان بالمريض مسا يجب ان يتدارك ويطلبون الاجور جزاء ما يقرءون من التعاويذ وما يصنعون من الرقي · وما زال بعض الناس في عصرنا من يميل الى تصديق هذه الخرافات ذلك لا ن الغباوة تسير مع الزمن في خطوات سريعة · ويتعاطى بعض العجائز وصف الادوية من الاعشاب · وكان بعض الدراويش في القرن الماضي يطوفون باسواق بيروت وغيرها من المدن والقرى اللبنانية في اسمال بالية وفي ايديهم مخلاة فيصفون العقاقير ويكتبون الاحجبة والتعاويذ للمصابين فتمتلي مخلاتهم بما يشتهون ويريدون من طعام ونقود ·

وكان اذا الم باحد العوام صداع يمر الدرويش يده على رأس المصاب ثم يتحتم في سره بعض الأدعية زاعما ان في ذلك زوال الالم وحصول البركة ·

ومن خرافات العوام الغريبة في الطب والمداواة ان الرجل منهم اذا ظهرت على حافة جفنه بثرة يشحذ قطعة خبز من فرن الحي او من سبع نساء تسمى كل منهن مريم فيبرأ ولذلك سموها (الشحاذ) واشترطوا ان يطعم ما يشحذ الى كلب اسود ·

ويداوون الحاذوقة باثارة اعصاب المصاب بها كان يقال له : سرقت سرقت مما يوعز صدره ويرى بعضهم اذا عطس الطفل في ليلة عيد الغطاس كان ذلك دليلا على زيادة سنة في عمره فكل عطسة بسنة ··· تفرح لها الام وتقول له : صحه !···

ومن العادات التي انحدرت الينا قديما من الفرس انه اذا مرض رجل يستعمل اهله السبحة قبل استدعاء الطبيب لمعرفة هل من الضروري استدعاؤه ام لا ؟ وهل ينجح دواؤه ؟ واي طبيب يدعى ؟ وكذلك يفعل التاجر قبل البت ببيع سلعته ·

ومن اوهامهم ان الرجل اذا اكل السمك وشرب اللبن يصيبه مس من الجن وقريب من هذه الخرافة ما ذكره ابو عثمان الجاحظ انه جمع بين السمك واللبن ففلج لساعته · وفي (عيون الانباء في طبقات الاطباء) لابن ابي اصيبعة ان ابا عثمان الجاحظ ويوحنا بن ماسويه الطبيب السرياني الذي خدم الرشيد بطبه اجتمعا على مائدة احمد بن ابي دواد وكان في جملة ما قدم مضيرة لبن بعد سمك فامتنع يوحنا من الجمع بينهما فقال ابو عثمان : ايها الشيخ لا يخلو أن يكون السمك من طبع اللبن او مضاد له فان كان احدهما ضد الآخر فهو دواء له وان كانا من طبع واحد فلنحسب انا قد اكلنا من احدهما الى ان اكتفينا فقال يوحنا : والله ما لي خبرة بالكلام ولكن كل يا ابا عثمان وانظر ما يكون في غد فاكل ابو عثمان نصرة لدعواه ففلج في ليلته !

ويرى بعضهم في دوي الاذن اليسرى علاقة على انك تذكر محمودا وفي اليمنى مذموما ومن ذلك يسألونك سؤال العارفين : اما طنت اذنك ساعة كذا فقد كنا نتحدث عنك ·

ويرى اللبنانيون ان للعين تاثيرا خفيا ويقولون ان فئة من الناس تكاد لا ترى شيا فتعجب به حتى تصيبه نائبة من النوائب وتجنبا لهذا يرددون عبارة (يخزى العين) كلما شاهدوا ما يعجبهم · ويذهب بعضهم الى ابعد من هذا فيجعلون في عنق الصبي او باطراف ثيابه تمائم او خرزة زرقاء لرد العين عنه · ومنهم من يعلق فوق باب منزله حذاء عتيقا او نعل فرس ويعتبر هذا حجابا يكفل للسكان عمرا مديدا وحياة سعيدة وللمنزل بقاء طويلا · وكان العرب في الجاهلية يعلقون على الصبي سن ثعلب وسن هرة للوقاية من العين · ونظير هذا الوهم ان الحبلى اذا اشتهت طعاما ولم تأكل منه ظهرت صورة ما تشتهيه على بدن مولودها ويسمونها (شهوة) وهذا مذهب طبي وعلماء الطب لا يؤمنون به لانه يخالف اصول العلم وجوهر الكائنات ويعتقدون ان الحشائش التى تنبت على حيطان المساجد والكنائس لها فاعلية عجيبة فهي نظرهم تلهب الاوجاع اذا غلت ولصقت على العضد الموجوع · ويدهنون أجساد المرضى بزيت قناديل بيوت المعابد لشفاء امراضهم · وتزعم العامة ان من عقره كلب مسعور يشفى اذا احرق شعر كلب ووضعه على جرحه · ومن عادتهم ان يساهروا من عضه كلب كلب سبعة ليال او اربعين ليلة وفي فجر الاربعين يذهبون به الى البحر وهناك يترقبون الشمس حتى اذا اشرقت دفعوه في غفلة منه الى الماء · وبما أن من عادة المبتلي بهذا الداء ان ترتعد نفسه لمنظر المياه كانوا يعتقدون ان الرعدة التي تحصل له آنئذ مما يبعث به الى الشفاء ·

ومن طريف العلاجات انهم يستعملون قشرة البصل وخيوط الرتيلاء كضمامات يضعونها على الجرح او الدمل بعد بلها بالزيت لوقايتها وشفائها من التقيح والتعفن ···

ومنهم من يضع على الجرح بنا مطحونا ويفركون موضع لسعة الزنبور بثوم ·

ومن طريف ما يزعمون ان النفس تغادر الجسد الى حين اثناء النوم ومنهم من يرى في ايقاظ النائم بغتة خطرا عليه واجراما لان نفسه قد تكون ساعتئذ في الخارج ولا يتسع لها الوقت للعودة الى الجسد فتحصل من ذلك الوفاة٠

وينقلون المريض الى بعض الاديرة او المزارات ويمسدون ظهره بحجر مدمك ويعتقدون ان ذلك يشفيه من آلام الظهر ٠ وان خرقة محروقة من ثوب المريض توقف الوجع ومنهم من يعمد فى اثناء المرض الى قطعة من الرصاص ويذوبها فى اناء ويزعم ان ذلك يذهب عنه الوجع الذي سببته العين ٠ وان شفاء المصدور رهن بتجريعه لبن اتان وان في سقي المرعوب بول انسان يزيل ما به ويعتدل مزاجه ٠٠٠ ويعالجون الوتاب وهو حالة عصبية بالقبض على عرق بين الكتفين ٠ ويستخرجون السم من لدغة عقرب او افعى بحجر السم في خواتمهم ويستشيرون بذلك الحاوي الذي يربط الحية ويشفي من لدغتها ويستعملون التمسيد لشفاء وجع المعدة ويغلون الحشائش النابتة على جدران المعابد ويزعمون ان من شربها لا تصيبه عاهة مرض ٠ وكان من عادة الامهات في القرن الماضي ان يحملن اطفالهن ويزرن دارا كان يقطنها شيخ صالح من آل المجلوب في بيروت هو الشيخ محمد المجذوب وهذه الدار كانت عندهن يأتين اليها غدوا وعشيا فيقبلن عتبتها تبركا رجاء ان يمن الله على اطفالهن بالشفاء من مرض الشهقة ٠ وفي مثل هذا الحال يقولون في فائدة الايمان (آمن بالحجر تبرأ) و (والداء دائي والطبيب هو الله) وذكر لي من اعتمده من العارفين باخبار السالفين انه لما باع من آل المجذوب دارهم في بيروت ظلت عتبة الدار وقفا وغدت يومئذ من المنافع العامة ٠ ويعتقد بعض العامة ان الامراض تتاتى بفعل الارواح الخبيثة ودخولها في الجسم نتيجة غضب من الله ولذلك ينقلون المريض الى احد الاديرة او مزارات بعض الاتقياء الزهاد والصالحين حيث ينذرون النذور كالزيت والشموع والبخور ويأتون اليها بالحلى او النقود ويستمطرون بها الرحمة والشفاء من الامراض والعلل الجسمية ٠ ومنهم من يعلق النزور على الاشجار او في عمدة نوافذ المزارات ويوقدون فيها السرج والشموع ليلا ونهارا ويرفقونها بالدعاء والصلوات والابتهالات رجاء شفاء مريضهم ٠ ويحضر بعض المحسنين العقاقير الطبية ومنها قطرة العين ويوزعونها صدقة عن ارواح موتاهم ٠ وكان البعض من ابناء الجيل الماضي ينسبون الجنون لسكنى الشياطين في عقل المصاب ويرسلون بعض المصابين بالجنون الى دير مار مطانيوس قزحيا في جوار بلدة بشري طلبا للشفاء وقد وصف هذا الدير جون كارن في كتابه (رحلة في لبنان) فقال: ان هذا المنعزل القاتم الموحش الذي يبدو بين المهاوي الجبلية معلقا بين السماء والارض حيث لا ينفذ ضوء الشمس اليه الا قليلا ان هذا المكان حري ان يجنن العقلاء ٠٠

شفيق طبارة

جميلة

سمراء تخطر بالخمائل — وتزين معصمها السلاسل
وتعيد مجد «خناس» — يوم «القادسية» اذ تناضل
تعتاض في لحن القيود — عن الموشح والخلاخل
وازينت بابن القيون — وبالعديد من الفضائل
وتقلدت بحبى الرجا — فالجيد منها غير عاطل

هامت بحب بلادها — لا بالغدير ولا الخمائل
واستاثرت في حبها — منه كثيرات المعاضل
وابت على الايام — اذ تجري رتيبات المراحل
وبانها والامر فيها — بعد ذاك الامر قافل
وبانها والمشكلات — تحلها نفس الوسائل
وبانها لا ينتهي — في امرها جدل المجادل
والاجنبي بها تحكم — حيث لا قول لقائل
وكمنا تعود ان يكون — مواربا فيها مخاتل
لم يعترف لابن البلاد — بان يكون له مزامل
حتى الذين هوت ضنما — ثرهم لمنحط الاسافل

حتى اذا هبت أعا — صير واثقل كل كاهل
وتعرت الايام عن — مستعمر للشعب واغل
برزت كما تعلو الحقيقة كي تحل له المشاكل
وتقنعت بالصبر الا — أنها تغلي مراجل
والمخلصون كمثلها — في النائبات همو قلائل
فتقحمت مسوح الجهبا — د بجاحم والموت ماثل
وترجلت عن فكرة — ان الغواني لا تقاتل
وترات الاحداث — ماثلة لها حتى المقاصل
وتمخضت عن مثل — مشبوب جلته يد الصياقل
فتجرعت كأس البلا — يا في السجون وفي المعاقل
ضربا وتشريدا وكيا — لا يطاق ـ وما يماثل

عاشت بلاد انت في — ساحاتها رمز المناضل
سلمت يداك فقد تجمع — فيهما محل ونائل
كف تهزين الوليد بها — واخرى للقنابل

بغداد — **عبد الكريم الدجيلي**

عمر الخيام والقيم الاخلاقية

بقلم خضر عباس الصالحي

ان نشر الشاعر الانكليزي الكبير فتزجيرالد مجموعته الاولى لترجمة رباعيات الخيام سنة ١٨٥٩ للميلاد حتى تناولها نقاد العصر الفكتوري بالدرس والتحليل ، ولم يلبث الشاعر عمر الخيام ان طبقت شهرته آفاق اوربا وامريكا واصبح معروفا لدى القاصي والداني ، فكانت رباعياته وكتاب التوراة يحتلان كل بيت في العالم الغربي .

اما اقطاب الادب الفارسي فلم يولوا عمر الخيام عنايتهم كما هو شأنهم مع ابي القاسم الفردوسي صاحب الشاهنامة والشاعرين سعدي الشيرازي ، وحافظ الشيرازي ، فقد كان عمر الخيام من المشهورين بعلم الرياضيات والفلك والفلسفة

والاديب اللبناني الخالد وديع البستاني اول من قام بتعريب رباعيات عمر الخيام عن اللغة الانكليزية ، اذ لم يكن ملما باللغة الفارسية فلم ينفذ الى اعماق معانيها الدقيقة ويحلق في آفاقها البعيدة ، بل اكتفى بالقشور دون اللباب .

ولعل الشاعر العراقي احمد الصافي النجفي هو الاديب العربي الوحيد الذي نقل الرباعيات الى العربية بدقة وامانة وذلك بعد ان درس اللغة الفارسية دراسة مستفيضة وبلغ المكانة المرموقة التي تتوق اليها نفسه ، وانشأ ينشر في امهات الصحف الايرانية وانتخب عضوا في النادي الادبي الفارسي بطهران وكلفته وزارة معارف ايران ترجمة كتاب (علم النفس) الذي اشترك بتأليفه الكاتبان المصريان علي الجارم ومصطفى امين ليدرس في دار المعلمين .. فقد اضطر السيد احمد الصافي النجفي الى مغادرة بلاده العراق في اعقاب الثورة العراقية الى ايران واقام في طهران ثماني سنوات وكانت قصارى همه درس الادب الفارسي والايغال في سبر اغواره ، فليس غريبا والحالة هذه ان تحظى ترجمته بالتقدير لدى القارىء العربي وتنتزع اعجابه فهي اقرب الترجمات الى الاصل الفارسي حتى ان الصافي بز الخيام في بعض الرباعيات وكأنها نتاج عربي فذ بشهادة ملك شعراء الفرس (محمد حسين بهار) كقوله :

لم يحظ بالدهر في ورد الخد ودنتي   الا وكابد من اشواكه العطبا
انظر الى المشط لم تبلغ انامله   اصداغ الغيد ما لم ينشعب شعبا

وكقوله :

ايا فلكا يربي كل نذل   وليس يدور حسب رضا الكريم
كفى بك شيمة ان رحت تهوى   بذي شرف وتسمو باللئيم

انه فاقه من حيث البلاغة والاسلوب، وليس هذا بالقليل على الصافي فهو شاعر مرهف الاحساس ، صادق الوجدان جياش العاطفة ، له رصيد فني كبير . وفكر خصيب ، وخيال رحيب .

ورباعيات الخيام فن فارسي قائم بذاته ، واثر شعري عظيم الجمالية وقد لقيت من قراء العالم رواجا منقطع النظير وذلك لانه خاطب فيها الكون مخاطبة تبدو للوهلة الاولى انها منطقية ، وموضوعاتها لم تتعلق بزمان ومكان معينين .

وكانت الحياة الانسانية مصدر الهام لا ينضب لشاعرية الخيام فقد وجدها قصيرة الامد لا تكفي ان يستوعب الانسان لذاذاته فقال :

عاطني الراح فهي قوت لنفس   واسقينها وان تزد في خماري
ان هذي الدنيا اساطير وهم   وخيال والعمر كالريح ساري

وقال :

ان الصبوح هلم نافتح حانتا   هذي ذكاء تهم بالاشراق
ان كان يسرع للفناء زماننا   فهلم في كاس الى دهاق

وقال :

ان ترم ان تنال عمرا صحيحا   وفؤادا لا يحمل الاحزانا
فارتشف صافي الطلا كل آن   لتنال السرور آنا فآنا

وقال :

ما الكون دار اقامة فاشرب الهنى   اول به ان يمتن الصهباء
املئ بماء الكرم نيران الاسى   فلسوف تلعب في الهواء هباء

وكان يواجه خيبة امل مريرة دفعته الى الانطواء على نفسه ، ومعاقرة الخمرة ليستعين بها على تبديد صخرة كآبته ، ويملأ بها فراغ حياته ، وهي من احب الاشياء لديه ، تحدى بها الناس والعرف والدين ، وجرأ على المجاهرة بها والدعوة الى احتسائها في وضح النهار بشعره الاخاذ المستفيض وموسيقاه العذبة التي تهز المشاعر وتلعب بالافئدة فقال :

غسلوني بالراح بعد المنون   واذكروها والكاس في تلقيني
ولدى الحشر ان اردتم لقائي   من ثرى باب حانة فاطلبوني

وقال

اشرب الراح فهي روح الروح   بلسم النفس والحشا المجروح
واذا ما دهاك طوفان هم   فانج فيها فذي سفينة نوح

وكان يسخر من الدين وما يبشر به المؤمنون ، وما سيعاقب به الكافرين من نار جهنم وعذاب اليم فيقول :

يقول المتقون لهذا ستحيا   على ما كنت في هذي الحياة
لذا اخترت الحبيبة والحميا   لاحشر هكذا بعد الممات

وهو لا يؤمن بالبعث بعد الموت ويحسب جميع الناس متمرغين في وحدة الرذيلة ولذا فان الجنة ستكون قاعا صفصفا ، في حين ان اللظى آهلة بروادها الكثار وجموعها الغفيرة النازحة اليها من كل فج عميق ، فيقول :

اصبحت بالسكر والصهباء مفتتنا   فليم يكثر لي هذا الورى العذلا
يا ليت كل حرام مسكر لارى   في الكون كل فتى من ذنبه ثملا

قالوا الا ان النشاوى في اللظى   قول له عقل المفكر منكر
ان كان من يهوى ويسكر في لظى   سترى الجنان كراحة اليد تصفر

وقد اعتنق شرب الخمرة دينا له ولن يرضى بغيرها بديلا فخضع لنزواته العاطفية ، وتمثل الحياة السعيدة وعاشها ، وهو ثمل بخمرة جمال النساء الفاتنات ، يقضي معهن شطرا كبيرا من امسياته الرقاق ، فيقول :

اجعلوا قوتي الطلا واحيلوا ... كهرباء الخدود للياقوت
واذا مت فاجعلوا الراح غسلي ... ومن الكرم فاصنعوا تابوتي

ولعل اجمل امنية كانت تداعب مخيلته ويتوق الى تحقيقها بحرارة ، هي انه بعد ان يفارق الحياة ويستحيل جسمه الى تراب ، ان يصنعوا من ثراه كوزا معدا لرشف الخمرة فيتنقل بين شفاه العذارى وايدي الندامى فيقول :

متى اقتلعت كف المنية دوحتي ... وعدت لدى الندامها أتعفر
فلاتصنعوا طيني سوى كوز قرقف ... عسى يمتلي بالراح يوما فانشر

وقال

نفسي تميل الى الحميا دائما ... والسمع يهوى مزهرا وربابا
ان يصنعوا كوزا ثراي فليتهم ... ان يملؤه مدى الزمان شرابا

والخيام ابيقوري النزعة يجد السعادة في الشهوات والانهماك في الملذات ، والافتتان بالجمال ، وكانت ثقافته الفلسفية تقوده الى الشك فليس وراء الموت ثواب ولا عقاب فهو من الفلاسفة اللاابالين ، واما عذاب الاخرة فلا يحسب له الخيام اي حساب ، ولا يكترث به لانه لن يشغل باله في التفكير بهذه الامور يأخذ العبارات الدينية ويقلبها راسا على عقب ويهزأ بها كانها ما وجدت الا لتكون اداة للافكوه ، ومثارا للطرافة ·

ولم يذكر عمر الخيام الجنة والنار على انهما حقائق دينية ثابتة يجب الاعتقاد بها ، وان الجنة مثوى الصالحين والنار مأوى الملحدين ، بل كان يتطرق الى ذكرهما على انهما مستقى سخي للتنكيت والاستخفاف فيرفع عقيرته للجار بآرائه المتطرفة ، موغلا في الكفر والالحاد ، بتعابير بسيطة ولكنها لاذعة ، مبعثها الغرور الذي ملأ نفسه ، فلم يعد يقيم وزنا لكل ما تعارف عليه المجتمع من اوضاع وقيم ووجد الحياة تنتهي بانتهاء عمر الانسان ، فليس حريا ان يضيعها بالتكالب على المادة الزائفة ، والجري وراء الاوهام بل عليه ان يتمتع بالحياة ما وسعه الى ذلك سبيلا ، وواتته الفرص السوانح ، ساخرا بروائع الأخلاق ضاربا عرض الحائط كل اوامر الدين في جرأة هائلة ، وتحد سافر فقال:

يا باقيا رهن الرياء ورابحا ... لتعير عيشك في عناء متعب
اتقول اين تروح بعد الردى ... هات المدام واين ما شئت فاذهب

وقال

بادر فسوف تعود ادراج الفنا ... وستترك الجثمان منك الروح
واشرب وعش جذلا فلست بعالم ... من اين جئت واين بعد تروح

وذهب عمر الخيام الى حد بعيد في استهتاره فصار يخاطب الله تعالى قائلا ان كنت مسيئا فانت خلقتني بارادتك فليس لي من ذنب ، ويظن ان الله سيشمله بالصفح والغفران ، وان قضى نحبه صريع الطلا ، ان كل هذه المعاني يسوقها في صفاقة وقحة ·

لقد عاش عمر الخيام في عصر السلاجقة وكانوا من اشد الناس حربا على الملحدين ، واكثرهم تنكيلا بالفاسقين ، فلذا كان عمر الخيام يتخفى باشعاره هذه التي كان ينظمها وهو يتعاطى الخمرة في مجلس للشراب ، فعرف في تلك الحقبة من الزمن بسعة اطلاعه في العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية ، وكان عارفا باحوال المتصوفة ، وقد اثبتت الوثائق التي عثر عليها ان عمر الخيام كان حيا في سنتي ٥٠٦ ـ ٥٠٨ للهجرة ولما مات دفن في مدينة نيسابور في ايران وله قبر فخم شيد حديثا اتيح لي ان اقف امامه لحظات رائعة عند تطوافي في بلاد فارس سنة ١٩٥٧ ميلادية

وغير خاف على القاريء الواعي ان هدف الشاعر هو تصوير تجاربه الشعورية تصويرا فنيا يعمق احساسنا بالحياة ويشدنا الى الواقع بلا غوض وابهام ، وكان الشاعر عمر الخيام يملك حسا فنيا مرهفا ، لون شعره بعواطفه وخياله ، تغزو قلبه النزوات الطائشة التي يتقزز منها الشعور الرهيف المهذب ، ويهبط بنفسه الى مستوى سحيق من الاسفاف والتبذل ، ويدفع بالمجموعة البشرية الى اضرام نار الثورة على المثل العليا ، والعقائد الدينية ، والغوص في خضم المعاصي والاثام ، والتلذذ بجسد المرأة لاشباع الغرائز الجنسية ، والانجراف بتيار الخلاعة والاباحية ، والازدراء بالمفاهيم الاخلاقية ، فاما الشرف والكرامة والحمية ، فما هي غير مجرد الفاظ جوفاء ، وعبارات شوهاء تثير الضحك والرثاء ، وخير الاصحاب هم الساقي والنديم لقضاء الليالي الحمراء بين كؤوس الخمر وانغام العزف في المواخير والحانات ، والتحلل من قيود المجتمع ، والتمسك باهداب السكر والعربدة ·

وليس من ريب ان هذه الافكار الجهنمية تعد عقبة في سبيل التطور الفكري ، وتسير بالانسانية نحو الهاوية المرعبة وتعمل فيها معاول الهدم والتخريب ، وتقف حجر عثرة في طريق التقدم والوعي لقطف يانع الاثمار وتنبيه الاذهان الى النقائص والعيوب ، لكي تقضي عليها وتحاربها بلا هوادة · فتنشد صفاء النفس ، وعفة الروح ، ونقاء الضمير

ولا ادري ما الحكمة في تسابق شعراء العرب على التنافس في ترجمة رباعيات عمر الخيام حيث قام بنقلها شعرا الى اللغة العربية عدد كبير من ادباء الضاد ، بعد ان رأينا ما تنفثه من سم زعاف في جسم الشعوب ، وتسعى لاعاقة موكبها من السير قدما نحو الرقي والنهوض ·

ولما كانت رسالة الاديب الحقة هي اشاعة العدالة والحرية والمحبة ، وتخليص الافراد من نير الافات الاجتماعية الفتاكة ، واغلال المساوىء الصدئة ، كان لزاما على كل

(التتمة في صفحة ٢٢)

حلت بالقرب من بيتنا أسرة لاجئة فلسطينية عميدها ابو حليم ٠٠ وهو رجل في العقد السادس من عمره ، مديد القامة،قوي البنية ، له شاربان طويلان لا يخلوان من أثر الصباغ ، ويضع على رأسه طربوشا يميل الى السمرة، وقد تدلت شرابته فوق اذنه اليمنى ، وهي تترنح مرحة مزهوة كلما قام بحركة من حركاته العصبية ، او استدار بعنف وانفعال ، او تكلم بنبرات جادة قوية ٠

كان ابو حليم في ايام شبابه بناء ويعتز كثيرا بذكر منزله الذي اشرف على بنائه في يافا ، فيصفه والالم يحز في نفسه قائلا : بيت قلعة ٠٠ بيت باربع طوابق ٠٠ بنيته بتعبي وعرق جبيني ٠٠ حصيلة العمر ٠٠

لجأ الى هذا البلد في سنة النكبة برفقة زوجته واطفاله الستة ، وهم اربعة صبيان وفتاتان ٠٠ ولم يحمل من متاع سوى حقيبة ملابس ، والقليل من الجنيهات ومفتاح البيت ٠٠ وعاش في العاصمة مع اسرته وامل العودة العاجلة يدغدغ نفسه ٠٠ ولم يكن يتوقع ابدا ان تنطوي السنين سراعا فيجد ابنتيه قد اصبحتا فتاتين يافعتين وابناءه من الذكور قد اصبحوا شبابا يتعطشون الى الكد والعمل ٠

واذا ما تفرست في وجه حليم وهو اكبر اخوته سنا ،، ووجوه اخوته للمست فيها كمدا عميقا ، مرده الى عقدة نفسية بعيدة الغور ٠

انهم يتساءلون دائما : من هم في هذه الديار ضيوف إم غرباء ؟٠٠ وما المعنى من كلمة «لاجي»، هل هو مخلوق يتمتع بحقوق المواطن وواجباته ام هو مخلوق فقط يعيش على حسنات الامم المتحدة ؟٠ ثم لماذا توصد ابواب الرزق في وجوههم وهم يحسون انهم قادرون على العمل ٠٠ وفي اجسامهم فعالية تدب وتزمجر ، وتصرخ في داخل صدورهم وعضلاتهم ورؤوسهم طالبة منفذا ومخرجا ٠٠

يقول حليم واخوته : الشباب في كل امة حية يجد امامه مجالات واسعة لتثبيت الكيان وخدمة الفرد ، والاسرة والوطن ٠٠ بينما الشباب الفلسطيني يظل دائما ذليل النفس منكسر الخاطر لا يحس بما يحس به غيره٠ ولا تهزه افراح البلاد التي يعيش فيها ولا تثيره اتراحها ٠٠

فاينما سار حليم واخوته يبلغ اذانهم كلاما يجرح احاسيسهم ويجعلهم يشعرون انهم اغراب غير مرغوب فيهم

واينما توجهوا في طلب العمل من شركات اجنبية او محلية أو دوائر حكومية يقولون لهم : انتم لاجئون ٠٠ والعمل في هذه المؤسسات محرم عليكم

وهكذا نشأت الرغبة في حليم واخوته للتخلص من «وصمة اللاجي»



والحصول على الجنسية المحلية بأي ثمن كان ٠٠

وذات يوم قال احدهم لابي حليم لم لا تحصل على الجنسية المحلية وتريح خاطرك وتؤمن مستقبل اسرتك ، وتفتح امام ابنائك ابواب الشركات والدوائر الحكومية ؟٠٠

فاجابه ملتهفا : وما السبيل الى ذلك ؟٠٠

ـ ولو بواسطة المحامي ٠٠

ـ وهل يضمن لي الحصول على الجنسية ؟٠٠

ـ المسألة مضمونة كبزوغ الفجر بعد ليل مظلم ٠٠

ـ يعني ٠٠

ـ يعني انك لا تثق بي أنا ٠

ـ حاشا ان يخامرني ادنى شك بنزاهتك ٠٠ انما ٠٠ عل هو محام قدير ؟٠٠

ـ اصغ الي يا صديقي ٠ المحامي فلان من ابرز الشخصيات الملسنة اللماعة ٠٠ خطيب مفوه ، ومرافع ممتاز ، وقانوني حجة ، درس جميع القوانين المحلية والاجنبية ، ودافع عن العشرات بل المئات من المجرمين والمجرمات ٠٠ ولا اذكر انه فشل في قضية ما ٠٠ بل لا ابالغ ان قلت لك انه فك حبل المشنقة من اكثر من رقبة ٠٠ وبالاضافة الى ذلك كله هو صديق حميم لعدد وافر من المسؤولين الصغار منهم والكبار ٠٠ وصداقته لهم اكيدة وقديمة، مبنية على المجاملات والمعاملات ٠٠ فهو يطرق ابواب مكاتبهم دون استئذان وفي كل آن ٠ ها ٠٠ هل تريد المزيد من المعلومات عن المحامي الذي سيمنحك الجنسية ؟

ـ ان ما قلته فيه كاف ٠٠

ـ انزوره ؟٠٠

ـ بكل تأكيد ٠٠

ـ متى ؟ ٠٠

ـ غدا ٠٠ غدا ان شاء الله ٠

يقع مكتب المحامي فلان قريبا من خان البرزطين وهو مؤلف من غرفتين صغيرتين الاولى يجلس فيها شاب هو امين سر ، و ضارب على الالة الكاتبة وساع ، ومسجل معاملات في المحاكم «ومطبق» للزبائن ٠٠ والثانية يجلس فيها المحامي اثاثها بسيط ، وهو كناية عن مكتب مستطيل وثلاثة مقاعد جلدية واسعة ٠٠ وخزانة مليئة بالمجلدات القانونية ٠ وقد علق على جدارها وفي الصدر تماما رسوم يابانية او صينية ملونة يبدو من شكلها انها اقتطعت من بعض المجلات الغربية ، وبروزت ٠

ودخل السمسار مع ابي حليم الى غرفة امين السر ٠٠ وسألاه فيما اذا كان المحامي موجود في مكتبه ، فاجابهما بالايجاب وسالهما ان يستريحا

قليلا ريثما ينتهي من التحدث مع بعض زبائنه .. واخيرا دخلا على المحامي وبادره السمسار بقوله : يا بك... اقدم لك ابا حليم .. لاجيء فلسطيني يسعى وراء الجنسية سعيا حثيثا .

ـ اهلا وسهلا .. اهلا يا مرحب تفضل واجلس ..

ـ هل تود الاستفهام منه بصدد بعض التفصيلات اللازمة لسيرك في قضيته ؟..

ـ طبعا طبعا .. اسم الكريم ؟

ـ خليل مهنا الفداري ..

ـ ياه .. انت من قرية فدار ؟.

ـ ماذا ؟..

ـ اجل هي قرية في هذه الديار كيف لا تعرفها وانت منها ؟..

ـ ا .. الحقيقة اننا من قرية بدار هذه ..

ـ لا تخطيء يا ابا حليم .. فدار وليس بدار ..

ـ نعم .. فدار .. فدار اسف

ـ وفي اية سنة ولدت فيها ؟..

ـ كيف ؟ ..

ـ يعني ان جدك من قرية فدار واباك مولود فيها .. وكذلك انت ثم رحل ابوك الى فلسطين وانت لا تزال في سن الرضاعة .. مفهوم ؟

ـ مفهوم ..

ـ اذن وضعنا حجر الزاوية ..

ـ طيب .. والشهود والاثباتات ؟.

ـ اعط خبزك للفران وان احرق نصفه .

ـ اخشى ان يحرقه كله ..

ـ اوه .. ها .. ها انت صاحب نكتة يا ابا حليم .. قلت لي انك من اسرة مهنا .

ـ نعم ...

ـ يا سميح

ـ نعم استاذ

ـ هات دليل التلفون .

ـ حاضر ..

وراح المحامي يقلب صفحات الدليل التي تبدأ بحرف ميم وهو يتمتم قائلا : مهنا .. مهنا مهنا .. ا.. ها هو ابشر يا ابا حليم العائلة موجودة والقرية موجودة .. والبقية مضمونة كيف ترى انشرع بالمعاملة ؟..

ـ كما تأمر وعلى فكرة كم يستغرق انجازها من وقت ؟..

ـ ا .. ثلاثة اشهر .. اربعة اشهر على اكثر تقدير .

ـ طيب .. والتفقات كم تبلغ ؟.

ـ انني اتقاضى لانجاز قضية كهذه سبعمائة ليرة .. لكنني اكتفي منك بستمائة ليرة .. تدفع نصفها الان وتدفع النصف المتبقى بعد ان تحصل على الجنسية .

ـ يا سيدي ادفع سبعمائة ليرة شرط ان تكون القضية رابحة ..

ـ رابحة .. رابحة باذن الله .

فلنحرر الوصل .. يا سميح ا ..

ـ نعم استاذ ..

ـ اطبع هذا الوصل الذي امليه عليك ..

وجلس سميح الى الالة الطابعة وسجل الوصل التالي : انا المحامي فلان استلمت من السيد خليل الفداري مبلغ ثلاثمائة ليرة كجزء مسبق من قيمة اتعابي من اجل اقامة دعوى للحصول على الجنسية المحلية له ولجميع افراد اسرته .. وهو ملزم بدفع ثلاثمائة ليرة اخرى عند نجاح القضية واستلامه الهوية .

ـ والان ... المبلغ اذا أمرت ..

ـ تفضل .. مائة .. مائتان .. ثلاثمائة ..

ـ ايه .. وعلى الله الاتكال .. راجعني بعد ثلاثة أشهر ..

وعاد ابو حليم الى بيته وهو يحلم بالجنسية المحلية ، وبالهويات التي ستفتح ابواب الرزق أمام ابنائه ، وروى لاسرته ما دار بينه وبين المحامي من أحاديث ، ورسم لهم المستقبل بالوان زاهية براقة .. وطمانهم بان الحصول على الجنسية المحلية لا يعني قطع الصلة مع اللاجئين ، أو نسيان فلسطين ، وانما هي وسيلة يقصد بها التخلص من متاعب الحياة ، والتمتع بالحقوق الاجتماعية ، والنهوض بالمعنويات المحطمة ، وايجاد دعامة يستند اليها في رد عاديات الزمن .

* * *

من طبيعة عامل البناء الصبر والتأني ، فهو لا يضع حجرا على حجر الا بعد ان يفحص بنظره ، ويدقق بميزاته ، ويقيس بشاقوله ، ويحكم عقله وذوقه ، فاذا ارتاح خاطره واطمانت نفسه ، وضع الاسمنت بين الحجرين ، وطرقهما بالمطرقة معلنا قوة بنائه ورسوخ اركانه .

صبر ابو حليم ثلاثة أشهر ، وكانه شيد في اثنائها ثلاثين عمارة الى ان حل اليوم الموعود .. فزين وجهه ، وارتدى أحسن هندام يملكه ، ومسح شاربيه بالقليل من زيت الورد .. وتوجه الى المحامي ، فاستقبله هذا بالترحاب وافاده ان الدرب وعر ، والعقبات جمة ، والصعاب تعترض سبيله تباعا ، ومع ذلك ليس من داع للقنوط واليأس .. فالقضية اجتازت مرحلتها الاولى ، وهي مرحلة الرجوع الى « الاهل » ، والمختار ، ورجل الدين ، ولم يتبق الا العثور على بعض الشيوخ من الاحياء الذين عاصروا جد العائلة .. وسيتم ذلك كله خلال ثلاثة اشهر اخرى على اكثر تقدير .

فاعترض ابو حليم قائلا : ولكن هناك عملا جيدا ينتظر ابني حليم في شركة امريكية ، فاذا لم يحصل عليه الان اضطر للسفر الى كندا ..

فاجابه المحامي : كندا !.. ومن تتاح له هذه الفرصة ويرفضها ؟.. دعه يسافر الى تلك الديار الغنية ، وبعد ثلاثة اشهر ترسل له وثيقة الجنسية .

وخسر حليم الوظيفة التي كانت تنتظره وسافر الى كندا ، وظل أبوه يرقب نتيجة المعاملة بفارغ الصبر ، وما ان انقضت الاشهر الثلاثة الجديدة حتى اندفع الى المحامي ، غير معتن بنفسه وبهندامه ، فاستقبله هذا ببشاشته المعهودة وقال له :

ـ لقد سرت في القضية شوطا بعيدا ٠٠ دبرنا « الاهل » ، والمختار، ورجل الدين ، والاشخاص الذين يعرفون جدك واباك ٠٠ وننتظر الان موعد تعيين الجلسة ٠

فاجابه ابو حليم بصوت مختنق: الم تعين الجلسة بعد ؟٠٠ ستة اشهر انقضت ولم تفعل شيئا يذكر ؟٠٠ لا تنسى ان ابني الثاني سليم موعود بعمل في شركة بريطانية اذا ما حصل على الجنسية ٠٠ وسيضطر الان للسفر الى الكويت ٠

ـ الكويت !٠٠ بلد التمر والزيت٠٠ لا ريب بان سليم سيتقاضى هناك راتبا جيدا ٠٠ دعه يسافر الى الكويت وطمئنه بان الجنسية تتبعه في اقرب فرصة ممكنة ٠

ـ يا حضرة المحامي ٠٠ اني اسعى للحصول على الجنسية من اجل ابنائي اريد الحفاظ على وحدة الاسرة ٠٠ اريدهم الى جانبي دائما ٠٠ اريد الفرحة بهم ٠٠ وها هم يتبعثرون في كل قطر وصقع بسببك !٠٠

ـ لا تغضب يا ابا حليم ٠٠ لقد اعترضت سبيلي عقبات قانونية طارئة وسأتخطاها باذن الله ٠٠ امهلني ثلاثة اشهر فقط !٠٠

ـ ثلاثا فثلاثا فثلاثا !٠٠٠

ـ ظروف قاهرة ٠٠ ارجوك ٠٠

وسافر سليم الى الكويت، واصيب ابو حليم بكمد شديد ، وتراءت له الامور وكانه يبني بيتا على مستنقع واه ٠٠ وهو الذي عرف عنه انه لا يرفع بيتا الا على الصخور ٠٠

وبانقضاء الشهر التاسع كان البناء اللاجىء يطرق باب المحامي ، غير حليق ، مهلل الهندام ، فاستقبله كعادته بابتسامة عريضة ، وترحاب معسول، وبنظرات زائغة لا تستقر على قرار ، وبعد محاولة حائرة للبحث عن كلام ينطق به قال : يا مائة اهلا وسهلا ٠٠ يا مرحبا بابي حليم ٠٠ مبروك !٠٠

ـ بالله عليك ٠٠ خيرا !٠٠

ـ الجنسية ٠٠

ـ ما بها ؟٠٠

ـ كل شيء انتهى ٠٠

ـ اين هي ؟٠٠

ـ في الطريق ٠٠

ـ وهل اخذت حكما في القضية؟

ـ طبعا ٠٠ طبعا ٠٠

ـ ولكن كيف ٠٠ دون حضوري الجلسة ؟٠٠

ـ يا ابا حليم ٠٠ انت بناء ماهر لكنك لست قانونيا ٠٠ لم توكلني عند كاتب العدل ؟٠٠

ـ اجل ٠٠

ـ ان توكيلك هذا هو بمثابة وجودك انت شخصيا ٠٠

ـ اذن نجحت القضية ؟٠٠

نجحت نجاحا باهرا ٠٠ وغدا بعد الظهر تستلم الهويات ٠٠ مبروك ٠٠ مبروك ٠٠

ـ يا حضرة المحامي ٠٠ هذا الخبر المفرح يستحق اقامة حفلة ٠٠ انت ضيفي غدا على العشاء ٠٠

ـ يا ابا حليم ٠٠ ليس من داع لذا المصروف الزائد٠٠ وانت لاجىء٠٠

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ الحفلة لا بد منها وسننتظرك في بيتنا غدا ٠ عنواننا عندك٠٠ وزيادة في الاطمئنان ساكون بانتظارك شخصيا عند موقف السيارات ٠٠

كانت فرحة لا توصف في بيت ابي حليم٠٠ فقد انهمكت الام وابنتاها في اعداد الكبة، والتبولة، والسلاطات والحلويات ٠٠ واحضر رب البيت العرق والبيرة وزجاجة ويسكي ، والنقولات ٠٠ ونضدت المائدة بذوق رفيع ، ووضعت في منتصفها باقة من الزهور٠٠ وانتظر القوم قدوم المحامي في تمام الساعة الثامنة مساء ٠٠ لكنه تخلف عن الحضور ٠٠ ولما بلغت الساعة التاسعة جلست الاسرة حول المائدة ، بعد ان يئست من مجيئه ، وقضت السهرة بين شرب واكل وتخمين حتى منتصف الليل ٠

وفي الصباح هرع ابو حليم الى المحامي فاستقبله وهو يحرك يديه كالمشعوذ : يا ابا حليم ٠٠ آسف ٠٠ المعذرة ٠٠لم احضر بدافع الخجل ٠٠

ـ الخجل ؟!٠٠ لا افقه ما الذي تعنيه بهذه الكلمة ٠٠

ـ اعني ان عراقيل فنية حالت في اللحظة الاخيرة دون الحصول على الهوية ٠٠

ـ الم تقل لي ان القضية انتهت بنجاح ؟٠٠

ـ اجل ٠٠ لقد صدر الحكم في مصلحتك ٠٠ لكن القضية تعثرت قليلا -في دائرة النفوس ٠٠

ـ وما العمل ؟٠٠

ـ ٠٠المسالة تتطلب شهرا آخر٠

ـ شهر جديد ؟٠٠

ـ اجل٠٠ شهر فقط ٠٠ انتظرت تسعة اشهر فاجعلها عشرة ٠٠

ـ ولكن ابني الثالث فريد قد اتيحت له الفرصة للعمل في دائرة المساحة الحكومية ٠٠ والا اضطر للسفر الى عدن ٠٠

ـ عدن !٠٠ يعني الجنة ٠٠ عدن بلاد الخيرات والبركات والجو الساحر٠ هذه فرصة ذهبية لابنك فريد ٠٠ دعه يسافر على بركة الله ٠٠ والجنسية ستتبعه بعد شهر بكل تاكيد ٠٠

وعاد ابو حليم الى بيته وهو يتعثر باذيال الخيبة والفشل٠٠ وسافر ابنه الثالث الى عدن ، وانقضى الشهر وهو يتقلب على فراش من الغصة والالم٠٠ وفي نهايته هرع الى المحامي رث الثياب ، مبلبل الفكر ٠٠ فاستقبله المحامي بلهجة غير مالوفة :

ـ اتظنني يا ابا حليم انني حصلت على شهادة المحاماة لاشتغل في قضيتك فقط ؟٠٠ لقد قتلتني قتلتني بمضايقتك المستمرة ٠٠ القضية ٠٠ الجنسية ٠٠ الهوية ٠٠ ما هذا الازعاج ٠٠ دع الامور تسير في مجراها الطبيعي ٠ وحين ينتهي كل شيء اطلبك !٠٠

ـ ولكن ٠٠

ـ لا يكفر من الكلام ٠٠ ان وقتي

من ذهب ..

ـ ولكن ما هذه المماطلة .. اردت الجنسية لاولادي وها هم يتوزعون هنا وهناك وانت تسخر مني .

ـ صه !..

ـ نعم .. انت تسخر مني .. واريد ان تعيد لي الثلاثمائة ليرة حالا ..

ـ انت تهددني .. يا بوليس!.. يا بوليس !..

وتدخل امين السر سميح وبعض الخدم الموجودين في المكاتب المجاورة، ولطفوا ثورة المحامي.. وانتهى الخلاف بفنجان قهوة وسيجارة ، على ان يبذل المحامي كل مجهود في دائرة النفوس لانجاز الهويات في فترة لا تتعدى ثلاثة اشهر ..

لم يعتد ابو حليم التزييف في معاملاته مع الناس ، فهو بناء .. والبناء يشعر بالمسؤولية ، فهو لا يستبدل الاسمنت بتراب ، ولا الحديد بمعدن رخيص ، انه صادق في عمله وفي علاقته مع الناس .. فسلوك المحامي منه يتنافى مع اخلاقه ويتعارض مع فهمه لطبائع الناس العاملين من امثاله .. وقد صعب عليه ان يغدو فريسة لشخص يجعل من مهنته فخا ومصيدة .

وانطوت السنة .. وتلتها سنة ثانية ومعاملة الجنسية تتخبط في دائرة مفرغة الحلقات .. وفي هذه الاثناء سافر سمير الابن الرابع الى قطر ، وما فتىء ابو حليم يراجع المحامي بين حين وحين ، وهذا يختلق الاعاذير التي تطيل في عمر القضية وتقصر في عمر البناء اللاجىء ، منها قوله : ان المعاملة بنيت على أساس فاسد ولا بد من الشروع بها مجددا.. وان جلسات عينت للنظر فيها بلغ عددها العشرين جلسة.. وان القاضي الذي يعالج قضايا الجنسيات قد استقال او أقيل وان قاضيا غيره سيحل محله .. وان قرارا حكوميا صدر بتجميد جميع قضايا التجنيس الى أجل غير مسمى ..

عن لابي حليم ان يستنير برأي معارفه وجيرانه في قضية الجنسية التي نغصت عليه عيشه ، فنصحوه بان يذهب الى المحكمة ويطلب الملف الخاص بها ، ويطلع على مراحل سيرها، فعمل بنصيحتهم وقال للموظف المسؤول :

ـ يا استاذ .. لي قضية عندكم أود مراجعتها ..

ـ ما هو رقمها ؟..

ـ ها هو مكتوب على هذه الورقة.. آ ـ ت ٩٧٤

ـ من هو محاميك ؟ ..

ـ الاستاذ ... فلان ...

وبعد ان قلب الموظف الملفات مدة نصف ساعة عاد ليقول لابي حليم انه لم يعثر على قضية بهذا الرقم قطعا ..

مادت الارض تحت قدمي البناء اللاجىء ، وفار دمه ، وصار يصخب ويلعن ، ويهدد ويتوعد .. فاستوضح الكاتب منه مشكلته فرواها له بحذافيرها ، فعطف عليه، وتأثر لحاله، وقال له :

ـ لقد خسرت قضيتك يا أبا حليم .

ـ كيف .. لماذا ؟..

ـ لان قضيتك بلا قضية ..

ـ لا أفهم ما الذي تعنيه ..

ـ اعني أنك وقعت في الفخ .. عوضك على الله في الثلاثمائة ليرة ..

ـ ولكن بيدي وصل .. أقيم الدعوى على المحامي ..

ـ ستخسرها ايضا .. وتدفع جميع النفقات ..

ـ لماذا .. لماذا .. انني صاحب حق ..

ـ ومن قال لك ان كل من طالب بحقه ناله في جميع الاحوال ؟

ـ افضح أمره في مكتبه وأمام زبائنه ..

ـ وستجد هناك عددا آخر من الناس يشتركون معك في ترديد أغنية مل المحامي من سماعها ..

ـ ويلاه .. كيف وقعت في حبائل هذا المحتال ؟..

ـ لكل غلطة ثمن.. ويظل الانسان عرضة للتجارب طوال حياته ..

ـ اذن ما العمل ؟..

ـ اقنع بان لك اربعة فتيان يكسبون العيش في كل مكان ..

ـ والجنسية.. والحقوق المدنية؟.

ـ ان حرمانكم منها يضعكم على كف عفريت .. ويجعلكم في غليان دائم .. ويذكي فيكم روح النقمة !..

خرج أبو حليم من دار المحكمة وسار في الشارع ، مستعرضا واقع حياة الهجرة الاليم ، مقلبا نظره في وجوه الناس الذين يتمتعون بالحرية والحق والواجب .. ولسان حاله يقول : أمنحوني الجنسية !..

نجاتي صدقي

يكفي لوم

يا عاذل ... يكفي لوم
ما عاد بجسمي قوة
كي ارفع هدبي
يا عاذل ... يكفي عذل
ما عاد بجسمي حيل
كي تعبر قدماي الهوة
والدرب طويل يا عاذل
والدرب ظلام يا عاذل
والعود من الضرب صعوبة
يكفي لوم ...
يا عاذل ... ايام الحب هناء
وهناك حقيقة
أيام العمر قصيرة
لم لا تجعل غيرك يهنا في حبه
لم لا تجعل ايام الغير سعيدة
ما أقذر من كان على الارض بلاء
سوط بلاء
ما أجمل من كان صديقا للبشرية
ما عاد بجسمي قوة
كي ارفع هدبي
يكفي لوم ...

علي الحسيني
الحلة العراق

دستور الادب ووظيفته

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

١ ـ فصل تين

« الادب هو تعبير عن المجتمع ، كما ان الكلام تعبير عن الفرد الانساني » وفي هذه الحكمة يلخص الفيكونت دي بونال احد الدروس المرة التي القتها الثورة الفرنسية على العالم ·· وبمطلع العام الاول من القرن التاسع عشر وعودة المهاجرين تصدر مدام ستايل دراسة من مجلدين بعنوان « الادب على اعتباره دستورا للمجتمع » طبيعي ان هذه ليست المرة الاولى التي فيها نلمح صلة بين الادب والمجتمع · فمنذ نهضة (الرينيسانس) الانسانية اشتد الكفاح الكريه بين الادبين القديم والحديث ، وقد اشار انصار كل من هذين المذهبين الى ما حواه مذهبهم من أصالة ، وسند تاريخي · اما الرومانسية الوطنية ، الجاهدة في هدم كرامة الكلاسية الجديدة ، فقد اعتمدت على سلسلة من المقارنات الجغرافية لنيل هدفها المرغوب فيه ·

وقد قدر لهيبوليت تين ، وهو في طليعة الحركة الثقافية (العقلية) الثالثة المعروفة بالايجابية العلمية ، قدر له ان يضع اسس وجهة النظر الاجتماعية · فبالاضافة الى العوامل التاريخية والجغرافية · جاء بمفهوم جديد دعاه بعامل (البيئة) الذي طغى على العوامل السابقة ، وهو يقصد من هذا المفهوم وضع الصلة بين النقد الادبي والعلوم الاجتماعية ولما نشر تين كتابه عن تاريخ الادب الانكليزي تحدث عنه احد قرائه المدعو اميل ، بان رائحته ـ لا تفرق في شيء عن رائحة مختبر علمي · بل اكثر من ذلك انها تمثل ، بالنسبة الى ذلك المثالي السويسري الحساس ، نفحة من نفحات (ادب المستقبل على الطريقة الامريكية) واشارة من عوارض « موت الشعر بعد سلخه وتشريحه من قبل العلم » ·

وهذا « التطفل من نتائج تدخل التقنية في حياض الادب » وهو ما لاحظه اميل بكثير من الحذق والذكاء ، ومسؤولية ذلك كله تقع على كواهل تين وبلزاك وستاندال يتحدث تين عن هذه المعضلة بوعي ذاتي كامل فيقول : « ان المسافة بين الرواية والنقد ، وبين النقد والرواية ليست واسعة جدا في الوقت الراهن · » تستند نظرية تين النقدية الى الممارسة الادبية التي يقوم بها الواقعيون من الادباء ، واذا لم تكن رواياتهم وقصصهم نقدية فهي لا تعدل شيئا يذكر · ذلك بان اعترافه بالقوى الاجتماعية التي تسير الادب ، يتفق مع تصميم الادباء على تجسيد هذه القوى في نتاجهم · كان تين اول من اقر بلوذعية ستاندال واول من رحب بفلوبير وبمزاملته ، وقد عاش حتى وجد زولا بين اتباعه · يقول زولا في هذا الصدد « ان تين حين يدرس بلزاك انما يفعل تماما فعل بلزاك عندما يدرس (بيير غرانديه) » (احدى روايات بلزاك الشهيرة) وليس من وسيلة احسن لردم الهوة بين النقد والرواية ، او استجلاء فرضيات الاديب الحديث ، من اعارة موجزة تتناول درس طريقة تين النقدية ·

يحدثنا قارىء آخر اشد حراسا من اميل ، وهو فلوبير فيذهب ، عام ١٨٦٤ ، الى ان كتاب (تاريخ الادب الانكليزي) قد يكون ترك اشياء ، غير محلولة ، ولكنه تخلص من الفكرة المغلوطة غير النقدية ، القائلة بان الكتب تهبط الى الارض هبوط الشهب من السماء · وعلى ذلك قد نغض الطرف عن الاساس الاجتماعي للفن ، ولكن نكران وجود الاساس امر لا يختلف فيه اثنان · وما تبقى من الاعتقاد بالالهام الشعري لم يعد قادرا على الصمود امام النقد الرفيع الذي تولى القضاء على (التولد) التلقائي وهو ماض في سبيله الى اجتثاث الالهام القدسي ايضا ·

وحين اعلن رينان عن جحوده للاسرار ، تصور المسيح ابنا للانسان ، وعلى هذا الاساس حلل اصول المسيحية ، ومن ثم تمكن تين من تحليل العبقرية على حسبانها نتيجة من نتائج البيئة ، وعلى هذه الشاكلة حلل اصول الادب نفسه · ومع ان النقاد أسفوا لوعورة تحليلاته ، ومع ان العلماء المعنيين بالدراسة الادبية تحدوا دقة وقائعه ، فانهم اعترفوا بفرضياته المعقولة · وسبب ذلك يعود الى ما اتصف به من جبرية عنيفة · وبخاصة بالقياس الى ما يتصورون ان الجبرية دلالة من دلالات الرؤيا الفكرية الحديثة · وايا ما كان الامر ، فجبرية تين · ليست سوى تطبيق عنيف لحب الاستطلاع الفكري في عصره الخاص · وهي ليست محاولة فلسفية اعتيادية للاجتراء على حرية ارادة الفنان ، وانما هي تمثل شعورا بسيطا ينتاب وجدان المؤرخ حين يدرس ما للماضي من اثر حتمي في التاريخ بصورة من الصور ·

اما عنف تين فقد جلب عليه غضب ناقد تاريخي مادي هو جورج بليخانوف ، بحيث اتهمه بالمثالية الخبيثة. ثم جاء فيلسوف فنان فوصف اسلوب تين الواقعي ، بانه محاولة خائبة للاشادة بنظام (واقعي) للميتافيزيقا . والواقع ان موقفه يشبه مواقف معظم الواقعيين ، من حيث عنفه بالقياس الى اوائل قرائه ، وسهولة منهجه بالنسبة الى نقاده الاواخر . وعلة ذلك ان طريقته كانت من حيث التفسير اوسع نطاقا من مدى معاصريه ، في حين انها عجزت عن تطمين رغباتنا نحن . وعندما نصطدم بالمقولة الاستفزازية القائلة بان « الرذيلة والفضيلة هما تتاجا المادة كالسكر وحامض الكبريت » عندئذ لا تهزنا الجرأة التي تعود بالقضايا الاخلاقية الى المعادلات الكيماوية ، وهنا يحلو لنا ان نستمتع بالسذاجة التي تحل هذه المعضلات بمعادلة واحدة .

اما مقدمة تين لتاريخ الادب الانكليزي ، التي تعلو فيها اكوام العقائد المتحجرة ، فلا يصح ان تعد طريقة اصولية ، بل هي بيان لا غير . واذا ما تابعنا قراءة هذا التاريخ لرؤية مدى تطبيق اصول المقدمة ، فلا بد لنا ان ننتهي الى خاتمة مخيبة للآمال ... ولنضرب مثلا لذلك تفسيره لعبقرية شكسبير ، انه يقول عنها «انها ، اي العبقرية ، تنبع من دخيلة نفسه ـ أعني من روحه وأصالته اما الظروف والأحوال فلم تؤثر الا اقل التأثير فيه » والمنفذ الوحيد الذي يعين تين على التملص من نتائج اساليبه الثلاثة الحتمية ، فيتلخص في استخدامه لنسق مهلهل من علم النفس . وعلى ذلك يأخذ علم النفس بالمبادرة ، حين تعجز فلسفة الاجتماع عن القيادة السليمة ، ومن الغريب ان علماء الاجتماع لم يهتموا الا اقل الاهتمام بالطبقات الاجتماعية والمؤسسات الملحقة بها . ذلك بانهم نظروا الى التاريخ نظرتهم الى استعراض للشخصيات المهمة ، التي هي ، في الوقت نفسه ، نتاج للتأثيرات التاريخية .

ومن هنا فواجب العالم النفسي يقتضيه ان يفضح عواطفها المسيطرة على نفوسها ، وان يقتنص الهواجس البازة ، التي تقرر مصائرها ، تلك الهواجس التي تخلقها الظروف في دخيلة روح كل انسان يمتاز بالعظمة وسمو القدر . ثم دعنا نبتعد قليلا عن دائرة النطق المغلقة ، والرطانة العلمية والميكانيكية ، لنرجع الى تين : انه كان ابن طبيعته وزمانه ، وكان فرديا عنيفا ، ومع ذلك فان الفضل ، في نظريته الاخلاقية يرجع الى بلزاك ، اما نظرية البيئة فتعود الى ستاندال . وبخلاف ذلك ، لو ان تين امتاز ببعد نظر ستاندال النفسية ، ونظرة بلزاك الاجتماعية ، لكان ناقدا ارفع مقاما ...

يحدثنا دوستويفسكي عن علم النفس بانه سكين ذو حدين . فقد نبحث عن انسان ما في كتبه ، او قد نبحث عن مثل هذا الانسان ليفسر كتبه . اما طريق تين فهو اخطر طريق ممكن ، ذلك باننا يجب ان نستنتج مزايا عمله الفكري مما اتصف به المؤلف من ترسبات فكرية فرضت نفسها على ذهنه . وهنا تتعاقب (المأساة الانسانية) بجملتها منحدرة من بلزاك على حسبانه كاتبا عمليا ، ورجلا من رجال الاعمال ، ومن تاريخ ليفي لما فيه من بلاغة خطابية وهذه الطريقة من التصنيف النقدي ، يجب ان تتحدد بضربات قليلة واسعة الاثر ، فيها من الانطباعية والمبالغة ما يجعلها صعبة القياس على التخطيطات الشخصية المزعجة التي رسمها سانت بيف . والغالب على شخوص تين شدة تشبثها بصلات القرابة . ومن هنا فهو بارع كل البراعة في لمس جذور الادب الانكليزي وعرضها علينا ومن هذه الجذور استجابة الطبيعة ، ونبض العرق البيوريتاني .. ومع ذلك ، فقد ظل فرنسي الاسلوب ، اعتدالي النزعة الى حد انه يستبدل تنسون بموسيه ..

وبعد فلماذا اختار تين الادب الانكليزي وما الذي جذبه الى هذا الاختيار ، على الرغم من الغوايات والاغراءات لم يكيف العلم قابليات تين النقدية بل الذي فعل ذلك هو الارث الرومانسي ، ولذا لم يكن في طوقه التخلص من هذا العبء . لقد جذبت المانيا مدام دي ستايل ، كما اخذ ميلشوار دي فوكيه يجد في البحث عن الروح الروسية اما الادب الانكليزي ، فكان بالنسبة الى معظم الفرنسيين الادب الرومانسي النموذجي . وبينا كانت فرنسا باستيل الكلاسية ، تصدت بريطانيا لقيود النورمان واصفادهم يحدثنا تين عن الفن الانكليزي بقوله : «ليس في اليونان ولا في ايطاليا ولا في اسبانيا ولا في فرنسا ، تمكن الفن من التعبير بشجاعة وطلاقة ، عن الروح (الانسانية) واعمق اغوارها الانيسة ، وعن الحقيقة كل الحقيقة كما فعل الفن الانكليزي» والشيء الذي رآه فريدا غير مسبوق ، في هذا الصدد . ما هو الا جملة تقاليد متشابكة .

٢ ـ النقد الاجتماعي والنقاد الاجتماعيون

اذا نحن تذكرنا مقالة لام عن تكلف كوميديا (الرجعة الملكية) عندئذ لا يصح لنا الموافقة على رأي تين السطحي فيما يخص المسرح الانكليزي ، الذي يشيد به قائلا «انه يمثل انطباعا صحيحا عن روح العصر ووجدان الامة نحن نعترف بان تين كان مؤرخا اكثر منه ناقدا ، ولكننا لا نغتفر له ، ابتعاده الشديد عن النقد التاريخي . وموقفه بشأن رسائل القديس بولس ، ومذكرات سيليني لا يشير الى ذوق ادبي ممتاز .. واستغلاله الادب من اجل مستندات تاريخية جعله يكشف منجما جديدا لا يثمن من المصادر الخام ، ولكنه لم يتعلم قط ان يميز ما هو خام وما تفعله الصناعة بهذه المواد البكر .

وفي دراسته (فلسفة الفن) لم يستطع ان يتجاوز موضوع الفن الجمالي وعلاقته بالمناقشة التقنية • ولذلك اضطر الى الاقرار بان الفن يمكن ان يكون مثاليا اوواقعيا على حد سواء وهذا ما حدا به الى ان يضع النحت اليوناني على مسافة ابعد عن الواقع من الرسم الفلمنكي • وهـــذا الاعتراف جعله يدير ظهره للنحت اليوناني ، وحمله على التحرر الواسع الافق ، من اجل دراسة بيئة اليونانالقديمة في واقعها الزمني والمكاني، وجذورها الاصيلة• والاعتراض الجدي على البيئة يتناول عدم قدرتها على التمييز لا بـين شخصية واخرى ، بل بين اي شخصية وبين الفن ، ولذا نراها ساعدت بعض الضليعين بالادب عــلى كتابة تواريخ ادبية ، ليست سوى معاجم للسير الادبية، كما اشار الى ذلك فيرديناند برنتير • وبذا تبطت فكرة تطور (الانواع) الادبية ، ذلك لان للتقنية الادبية نفسها تاريخـا خاصـا ••

لم يعمد تين ولا خلفاؤه الى تبديل اشكال الادب المتعارف عليها اما الهدف الرئيسي من التاريخ الادبي ، تحت رعاية غوستاف لانسون ،في فرنسا وغيره مــن الاساتذة في شتى البقاع ، فقد كان نوعا من الملاحــق الادبية الخاصة بالتاريخ • ثم ان البحوث الاكاديمية ، قد ركزت اهتمامها باسس الادب ، تاركة المظاهر من غــير عناية وبذا ظلت المظاهر كما هي • وفي الوقت نفسهشعرت طبقات واسعة بتاثير تين في مجالات النقد ، وهنا اخضع هذا التاثير لاغراض سياسية • ومع ان تين نفسه كان معارضا عنيدا للتدخل في السياسة ، فانه لم يعد يدرك اهمية افكاره الا بعد ان فقد الايمان بها • صحيح ان تين كان في الاصل من دعاة التعاليم (الفلسفية) التي حملهـا اللوم في دراسته الاخيرة (اصول فرنسا المعاصرة) لانهـا ـ على ما يعتقد ـ اشعلت كوامن ثورة ١٧٨٩ •

والجدير بالذكر ان ناقدا دانيماركيا يدعى جــورج براندیز هو الذي وسع افاق التاريخ الادبي ، وضيق اتجاهه على حد سواء ، وقد كان هذا الناقد معاصرا لابسن ونيتشه ، وما دار من مناقشات في العقد الثامن من القرن المنصرم • شعر برانديز بفهم عميق للسياســـة والادب يفوق فهم تين لهما • ذلك بانه كان انسانا حرا اممي النزعة ، يشك اشد الشك بتفوق بروسيا ، وفي الوقت عينه وضع حجر الزاوية في نضال الرومانسيين ضـــد الرجعية الدينية ، او في مساومتهم لها وكذلك ضد سلطة الدولة • وقد جعل من بايرون وهانيه نبيين انيسين لديه كما عد آلشليفل من المارقين • ومع ذلك كله حسب ثورة ١٨٤٨ هاوية سياسية انحدرت اليها (التيارات الاساسية في ادب القرن التاسع عشر) وهذا هو عنوان الكتاب الذي وضعه برانديز •• والعنصر البارز في هذا الناقد يتمثل في نقده لردود الفعل لدى الكتاب من جراء البيئة المحيطة بهم وما يسدونه من خدمات لنصرة التقاليد السياســـية الحـــرة •

وهذه المظاهر جميعا قد واتيناها من الاهتمام اللائق بها ما جعلناها اهلا بالكتاب الامريكيين ، ومن هــؤلاء بارنفتون الذي استطاع تطوير مبدأ تين لكي يلائم مشكلاتنا الخاصة ، وبذا تمكن من استغلال قضايا نيو انكلند مــن وجهة النظر الغربية مستفيدا ، في ذلك ، من موقـــف جفرسون ضد الارهابي هاملتون • اما كتابه المعنون تيارات اساسية في الفكر الامريكي ، فينبيء عن تحية اخوية موجهة الى برانديز • وقد احتال بارنفتون على صعوبة تـــين بالاعتماد على المصادر التي استغلها من كتابات الاخلاقيين والصحفيين الموجهين •

اما فصوله المتعلقة ببروجر وليامز وجون مارشالفهما دليلان مثمران ، في حين ان الفصلين الخاصين ببووهنري جيمس من التفاهة والحمق بحيث كان من الأصلح عــدم الالتفات اليهما والتعليق عليهما • اما المرحلة الاخيرة ، في هذه المناسبة ، فكانت متاخرة المهد كثيرا ولكنها مع ذلك اشارة الى النزاع بين الاتجاهين السياسي والادبي • واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار كلا من غرانفيل وهيكز ، فهما يمثلان هذا النزاع ، من حيث اهميته ، خير تمثيل •

اما اذا كان هيكز متشبثا بمفهومه المبهم المنصوص عليه في كتابه (التقاليد العظيمة) فهو اذن يمثل الناقـــد الماركسي بالمعنى الذي مثل فيه بارنغتون الناقدالجيفيرسوني اما الخيار بينهما ، فهو مسالة تختص بالمعايير السياسية بالدرجة الاولى • وطبيعي ان الجيفرسونية ، تمثل البيئة الاحسن ملاءمة لمناقشة الادب الامريكي • هذا على حين ان الماركسية بارجاعها وصف البيئة الى العوامل الاقتصادية قد عرضت علينا نظرية جريئة استندت الى السببيــة الاقتصادية ، وبذا سبقت كلا من تين وبرانديز • وبذا فقد ادخلت النقد الى النظام الاجتماعي الذي القى اضواء كشافة على الحقائق الواقعية • والذي جعل من التعاليم الاجتماعية مثار بحث ومناقشة واستقصاء وبذا فقد قوت العلاقــات بين الادب والحياة ، بتيسيرها اشد التيسير • وبهذا الصدد لم يعد كارل ماركس ماركسيا ، كما اعترف هو نفسهبذلك بل انما حذر اتباعه مرارا وتكرارا من توقع اتباع الفنون لافكاره الخاصة • ولو انه كتب دراسته عن بلزاك بالاسلوب الذي تيسر له ، لكان من الممكن ان يرونه باسلوب نقدي ملائم • ومع ذلك فان النقد الماركسي قد فرض تعاليمه الاشتراكية من غير اهتمام باسلوب تين •

صحيح ان الصلة بين الادب والمجتمع صلة متقابلة فان الادب ليس فقط نتيجة من نتائج الاسباب الاجتماعية ، بل هو سبب من اسباب هذه النتائج ايضا • ومن هنا فان الناقد قد يفتش عن هذه الاسباب كما جرب تين ان يفعل

او هو قد يهتم بالنتائج كما يفعل براندیز وغيره ۰ وكلما قایس براندیز بين نتاج الفن واتجاهات التاريخ ، اصبح وعيه اكثر جلاء ووضوحا وهذا الموضوع يغدو اقل بيانا كلما يواجه الناقد معاصريه ۰ وكلما تمسي قضايا الادب اقرب الى العمل المباشر الواقعي ۰ وعندئذ تنصب عنايته على المستقبل ذي المشاكل المتنوعة ، بدلا من العناية بالماضي المضمون ۰ اما الحاضر الراهن القلق فقد يحمله حملا على نوع خاص من المشاركة الوجدانية ، قد تكون ماركسية النابة ، او غيرها من الميول ، وبذا يضطر الى قياس اي نوع من النتاج ۰ على وفق ما يتطرق اليه من نتائج، سواء اكانت تضر مصلحة الحزب ام تفيد في تقدمه ۰

ولما كان الفن سلاحا ذا حدين ، فلا يمكن الحكم عليه الا في اوار المعركة ۰ وعلى ذلك فلا حاجة بنا الى نكران اهمية مثل هذه الاحكام ، وانما نحن بحاجة فقط الى الاعتراف بما في هذه الاحكام من قدرة على ان تجتاز بنا المشاكل الجمالية الى حقل القيم الاخلاقية ۰ ومع ذلك هناك اوقات يعجز فيها النقد عن تجاوز الحدود بسهولة فحين تكون مشكلات الحدود ملحة تتطلب الدعاية والتنظيم يمكن ان نعود من حيث اتينا ، ومن هنا ، فقد نكون آمنين اذا نحن ادركنا الصلة الوثيقة بين الفضيلة والجمال ، وبين الجمال والواقع ، مع ما بينهما من اختلاف وتباين ، في شتى الاحوال والظروف ۰

٣ ـ دور العرف

يعد تين اول من اكتشف مهمة النقد الادبي الحديث ذلك بان معظم المطلعين على تقاليد الادب وتقنيته كانوا اقل الناس ادراكا لمسؤوليات الادب الاجتماعية ۰ ومع ان هؤلاء كانوا كتابا انفسهم ، الا انهم كانوا في عوز شديد لطريقة النقد (السليمة) مع ما اتوه من كفاءات وبعد نظر صحيح ان بعضهم عرف بالاتجاهات الفلسفية المثالية ۰ لتحليل النظريات التاريخية الفنية ۰ ومفهومهم ، في التعبير الشكلي ، الذي ورثه غروتشي من فرنسسكو دي سانكيس يشبه (المبدأ العضوي) الذي ورثه الانكلوامريكان من نظرية كوليردج ومواعظ امرسون وتطبيقات ثورو ۰ ومهما كانت تسمية هذه الطريقة فانها اداة حساسة نجعلها غير صالحة الاستعمال الا من قبل نقاد بصيرين ۰ ينتقدون طرقا ذائعة الصيت ۰ اما اذا استخدمت استخداما اعتباطيا فجا ، فان اصرارها على وحدة كل نتاج فني وقبولها الفنان على علاته يجعلا منها نوعا من الانطباعية الجمالية وعبادة البطولة الرومانسية ۰

وبينا هذه المدرسة مسؤولة عن نشر العديد من المقالات النقدية الرائعة الا انها لم تنتج قط «نقدا جديدا» كالذي حاول سبنغارن تحديده عبثا ۰ ولما كانت هذه الطريقة تفهم الفن على انه اكمل تعبير عن الشخصية الانسانية فهي بهذه الوسيلة تجنبت المواقف التحليلية تجنبا لا معنى له ۰ هذا من جهة ومن جهة اخرى، فان مدرسة تين على قلة تبصرها وتمايزها ، تشتهر بتأثير واسع النطاق (في الفكر النقدي) لانها ادركت الفن ، بعده تعبيرا شاملا عن المجتمع ۰ والخطأ الاساسي، في هذا المفهوم يتبين من معادلة الفن بالمجتمع بصورة حرفية ، وذلك من طريق قبول ما يمسى بانطباق ادب عصر ما ، على ذلك العصر انطباقا تاما لا منفذ فيه ۰ وايا ما كان الامر ، فان الادب ملزم بقول الحق ، ولكنه لم يقم بادعاء هذه المهمة الا نادرا جدا ۰ اما خطيئة الحذف والتحريف ، فيمكن ان نرجعها الى الاسباب المقيدة لحرية الفنان ومجال تجربته او مدى سيطرته على واسطة عمله ۰ وعلى ذلك فالمؤرخ الادبي مجبر على الاعتناء بهذه التحديدات والمبالغات ۰ لان التاريخ اذا اريد له ان يكون مضبوطا ، لا بد ان يصحح هدفه من حين الى حين ۰

وهنا تبدو لنا قضية جلية ، تنحصر في العلاقات بين الجنسين وما نالته من اهتمام كبير من الكتاب ۰ وقد يكون من التهور الشديد ان نعتمد كثيرا على الشواهد المتناقضة التي يقدمها الكتاب الينا ، دونما الالتفات الى النواحي الفنية لعهد من العهود ، والحرية الجنسية لعهد اخر ۰۰ واذا ما اخذ بنظر الاعتبار زيادة الكتب البوليسية والجنسية على رفوف مكتباتنا علمنا ما تعنيه هذه المجلدات من راحة لا لون لها في حياة قرائها ۰۰۰

لعل تحديد العرف يمكن ان يوصف بانه الاختلاف الضروري بين الفن والحياة ۰ واذا ما دققنا في القول فبعض الاختلافات يمكن ان نعدها غير ضرورية ، فهي لا تعدو كونها انتفاضات خيالية ، او نتائج لا شعورية لسوء الفهم ، وخطأ الحساب ، ولكن الفن ملزم بالتباين عن الحياة لاسباب تكنيكية تتبين في تحديدات الشكل وصعوبات التعبير ولما كان الفنان عاجزا عن التغلب على هذه العقبات بنفسه فهو مضطر الى استمداد العون من قرائه ۰ اي ان عليهم ان يفهموا بعض الشكليات والفرضيات فهما واقعيا مفروغا من صحته ۰۰ وبسبب هذا التوافق المهموس تتم تسوية بين احتمالات الحياة وضرورات الفن ۰

ولا شك في ان التقيدات الاسلوبية قد جاءت باشكال جديدة فيها بعض الصعوبة كما يدعي ذلك المدافعون عن القافية الشعرية ، من صموئيل دانيل الى بول فاليري ، لان التمسك بالقافية حث الشعراء على احسن التعابير توفيقا ولولا بعض العناية بالعرف لما كاد الفن يجد مكانا في الحياة ۰ فالفن يحيا في وجداننا لانه يستطيع خلق فضائل من الضرورات ، وحين تتلاشى هذه الضرورات ننسى عادات العرف المتبعة ۰ وسبب ذلك اننا حين نجد المنظور مخترعا ،

نسيء اصدار الاحكام على المبادىء الاولية ، وبعد ان نكون المشاهد ، نتحدى الوحدات التي صنعتها ·

٤ ـ نحو الطريقة الاجتماعية

وهذه النتيجة الوقتية ستفسر لنا السبب المبرر الذي جعل المؤرخين الادبيين يستخفون بالشكل الادبي لاي نتاج لانهم اعتمدوا على الواقعية في تقديراتهم · ومع ذلـــك فانهم نسوا ميزة واضحة ، في الانتاج الادبي ، وهذه الميزة تتلخص في كيفية استخدام الفنان لطرائق العرف المناسبة وهنا يطرح علينا هذا السؤال بالحاح : هل من الممكن اومن المرغوب فيه ان نفصل الصناعة من الفن ام لا ؟ وهـــذا السؤال هو من اعظم الاسئلة التي تواجه النقد من غـير انفصال ·.

ولكن القاصين الواقعيين ، الذين يعلنون عن نواياهم في استنساخ الحياة ، يجدون انفسهم في مستوى ارفع من النقاد الواقعيين ، لان الاواخر ، يتوقعون من كـــل كتاب نسخة امينة للحياة الواقعية · فحين يعلن ستاندال بان «كل رواية هي مرآة تسطع من الاعالي» وحين يكرر تين هذا الصدى بتفسير الرواية على انها «نوع من المرايا التي يمكن حملها الى اي مكان كان لانها احسن اداة لعكس جميع مظاهر الطبيعة والحياة» ، فهما في ذلك يجعـــلان الاسبقية للفن على الحياة مع نكران ذلك من قبلهما · وقد وجد تين هذه الحقيقة واضحة ، بمحاولته غير المجدية للعثور على انعكاسات عن (النظام القديم) في روايات القرن الثامن عشر الفرنسية · وخيبة ظنه هذه دفعته الى تلمس الوقائع لدى الكتاب الانكليز ·

اما استعارة المرآة عن الادب في نقلها لصورة الحياة فهي قديمة قدم افلاطون ، ولكن هذا الفيلسوف لم يذكرها الا لينكرها ويتنكر لها · ولكنها ، في عهد شيشرون اتخذت نها مكان البديهة في النقد الادبي · فقد طبقت من قبل القدامى على الكوميديا، على اعتبارها وسيلة من وسائـــل الواقعية ، ثم اصبحت اخيرا كلمة السر في التعليم الفني للتمييز بين مكارم الفضيلة وفضائح الرذيلة · ولكـــن شكسبير ، لما استدعاها الى الحياة كان قصده من ذلك هدفا معينا ، جهله الذين استشهدوا به اشد الجهـــل · فهاملت ليس مجرد شخصية تعني بوصف مسرحية وانما هو دعوة لاستغلال انتباه الممثلين · وما نصيحته ســوى نقد موجه للتمثيل كما هو اعتذار عن قصور المسرح واحتجاج على التقاليد العرفية وحث على الواقعية ·

ومن هنا فالفن يجب ان يكون انعكاسا للحيـاة لا تشويها لها · وعندما يتصور النقد ان الفن يعكس الحياة دائما فهو ينسى ما يقوم به الفن من تشويه غالبا · وبـــذا يجعلنا ننظر الى الاشياء نظرة باردة منطقية دقيقة هي ابعد ما تكون عن الواقع ·· ثم ان الادب بدلا من ان يعكس اشعة الحياة نراه يكسرها · ولذا فواجبنا ـ في هـــذا الشأن ـ ينحصر في معرفة زاوية الانكسار من عدسة الادب لان هذه الزاوية قلقة مترجرجة لا تعرف الثبات والاتزان ومع ذلك فنحن اليوم اكثر علما بالنقد من تين ، لما وافتنا به الدراسات النقدية المقارنة ولما جد من بحوث فـــي التقنية وارجاع الادب الى اصوله الاجتماعية · يقول لانسون «ان الادب هو تكملة للحياة» وهذا القول من الاتساع بحيث يمكن ان يتضمن المثل العليا والخيالات والعوامل النفسية المتباينة ، هذه الاشياء التي لا تجد لها ماوى في عالم الواقع

واذا ما نظرنا الى الادب على انه رافد ينصب في نهر الحياة ، فهو ـ في الوقت نفسه ـ قناة يسحب المـــاء من هذا النهر ، وبمعنى آخر فان الادب جزء لا يتجزأ مـــن الحياة ، والى هذا اشار ليزلي ستيفنز بقوله : «انه ـ اي الادب ـ وظيفة خاصة من وظائف الجهاز الاجتماعـــي الانسانـــي» ···

ومتى ما ادركنا هذه الحقيقة امكننا ان نعرف الصلة التي تربط الفن بالمجتمع ، مع الاعتراف باستقلال الفـــن الذاتي وحدوده المميزة له · وعندئذ ينتفي التناقض بين النقدين الاجتماعي والادبي ، واعني بذلك القضاء علـــى الاختلاف ما بين دوافع البيئة وبين التقاليد العرفية ، ومن هنا يتحقق لنا ما يبرر فهمنا لعمليات الحياة الرئيسيـــة صحيح ان علم النفس قد دلنا على اسباب مزاجية فردية في تكوين الادب ، ولكن الاصح من ذلك ان الشعور الاجتماعي هو حجر الزاوية في بناء كيان الادب ·

بعقوبة ـ العراق   يوسف عبد المسيح ثروة

(تتمة المنشور في صفحة ١٣)

مفكر حر ان يحاول جاهدا في تقليص نفوذ رباعيات الخيام والحد من آثارها التي تتسلل الى الصميم ، والتي تبـــدو وكانها تساير المنطق ، فتطرب لها القلوب وتهتز لهـــا النفوس ·

وما زلنا نحن العرب نقف الان في مفترق الطرق بين الموت والحياة ، ونجتاز مرحلة خطيرة من كفاحنا في مضمار النمو والتكامل والازدهار ، لذا بات حريا بنا ان نتطلع الى ادب حي معبر يؤمن بقدسية القيم الاخلاقية ، ويضلع فـــي ركابها · ويناضل من اجل دعم ركائزها القوية وما البـــل قول المرحوم امير الشعراء احمد شوقي :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

بغداد   خضر عباس الصالحي

وضع البيليوغرافيا في العالم العربي

بقلم يوسف اسعد داغر

ملخص البحث :

استعرضنا في القسم الاول من هذا البحث ، وهو المنشور في عدد اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٨ من الاديب ، صورة من النشاط البيليوغرافي ابان ازدهار المدنية الاسلامية واثبتنا بالدليل القاطع على ان البيليوغرافيا علم عربي النجار ٠ وان اللبنانيين هم اكثر الشرقيين عناية بهذا العلم في شخص كبار علمائهم العاملين في الاوساط الاستشراقية في الغرب ، ولا سيما في ايطاليا واسبانيا وفرنسا حيث عملوا في تنظيم مكتباتها وفهرستها ، فهرسة علمية ، كما استعرضنا اسماء كبار الماهدين لهذا العلم في الشرق العربي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٠ كذلك استعرضنا في القسم الثاني من هذا البحث ، وهو المنشور في عدد نوفمبر (تشرين الثاني) من الاديب ابه البيليوغرافيين اليوم ذكرا ، واوفرهم جهدا في هذا الحقل ، ولوجنا لماما ، باهم مآثرهم وفي هذا القسم الاخير تتمة البحث ٠

سادسا ـ في تونس

١ ـ حسن حسني عبد الوهاب

يجب التنويه هنا بالنشاط الكبير الذي يبديه في حقل الفهرسة العلمية الباشا حسن حسني عبد الوهاب ٠ الوزير الاسبق للمعارف في تونس ، وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومدير الآثار في تونس اليوم ٠ للباشا التونسي في هذا المضمار: «تاريخ تونس حتى عصرنا هذا» و « شهيرات النساء في تونس » ٠ ويعمل الباشا عبد الوهاب ، منذ عهد طويل على وضع ببليوغرافيا شاملة لادباء تونس ومفكريها ومؤلفيها ، منذ القديم حتى اليوم ، بذل في جمعه وتحقيقه من النشاط والتنقيب الدؤوب ما يمكن تسمية الكتاب معه ب « كتاب العمر » كما يحلو له ان يسميه ٠

٢ ـ السيد الكعاك

كذلك يجب ان ننوه هنا ، تنويها خاصا ، بالجهد الطيب الذي يقوم به في الحقل الببليوغرافي السيد الكعاك ، مدير مكتبة تونس الوطنية ، واحد كبار الادباء ومشاهير المؤلفين في تونس اليوم ، الذي يأخذ على نفسه النهوض بكل ما من شأنه التمكين للببليوغرافيا في الاوساط والدوائر العلمية في تونس ، والترسيخ لأصولها بين الاجيال الطالعة في تونس اليوم ٠

٣ ـ زين العابدين التونسي

ومن بين الحريين بالذكر هنا من المفهرسين زين العابدين التونسي صاحب كتاب : « الادب التونسي في القرن الرابع عشر ٠ تراجم ٠ صحف مختارة ٠ رسوم » وهو قسمان : قسم المنظوم وقسم المنثور ، تونس ١٩٢٧ ٠ ترجم فيه لعدد من كبار شعراء تونس وكتابها ، واتى بصحائف مختارة من منظومهم ومنشورهم ٠ والكتاب يقع في ٣ مجلدات ٠

وقد وعد المؤلف قراءه باصدار حلقتين آخريين يتناول في الاولى الادب التونسي في العصر الذهبي ، كما يتناول في الثانية الادب التونسي في العصور الوسطى ٠ والذي لدينا انه لم يصدر شيء من هذا بالرغم من مرور ٣٠ سنة على الوعد المقطوع ٠

سابعا ـ في المغرب

١ ـ ابن سودة (أبو محمود عبد السلام) ٠

صاحب كتاب : « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » وهو كتاب ظهر في تطوان عام ١٩٥٦ ، في ٥٥٤ صفحة ٠ والكتاب فهرس نموذجي لاصول تاريخ المغرب في حقبه التاريخية ، وصف فيه المؤلف ١٨٦١ كتابا مطبوعا يبحث في تاريخ المغرب ٠ وهذه الاصول التاريخية التي يعرفنا المؤلف بمحتوياتها ومشتجلاتها ، تتكسر على ٨ فصول وابواب عامة هي : ١ ـ الكتب الخاصة بالمدن والبقاع ٢ ـ الانسان والعائلات والقبائل ٣ ـ احوال الملوك وسيرهم وسياستهم ٤ ـ التراجم الخاصة الموضوعة في فرد خاص ٥ ـ تراجم الرجال في نوع خاص او عام ٦ ـ الفهارس ٧ الرحلات التي صورت رجال المغرب ، وممن رحل اليه او جال فيه ٨ ـ المنظومات التاريخية والدواوين الشعرية وما يتبع ذلك

والذي نتمناه هنا صادقين هو ان ينهض ، في كل من البلدان العربية ودولها من يقوم بوضع « دليل للمؤرخ » ياتي على شاكلة هذا الكتاب ، ويحذو حذوه في التعريف باعم الاصول التاريخية التي يركن اليها ، بحيث يتخذ تكأة للبحث ٠

٢ ـ محمد عباس تباج

نحن مدينون له بـ : « الادب العربي في المغرب الاقصى » وهو كتاب يقع في مجلدين ، درس فيه ٢٨ اديبا معاصرا من ادباء المغرب الحديث ٠

٣ ـ الشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان

مؤرخ مغربي ، (١٨٧٣ ـ ١٩٤٦) نقيب اشراف

مكناس وأحد علماء المغرب ، أديب ، شاعر ، ناثر . جمع في دارته خزانة كتب خاصة تعد من أغنى خزائن الكتب في المغرب . له في حقل الببليوغرافيا : «اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» في ٦ اجزاء ضمنه تاريخ المغرب الاقصى السياسي والاجتماعي والأدبي ، مع ترجمة من نبغ من اعيان وادباء وشعراء مكناس ويقع كل جزء من أجزائه الستة في أكثر من ٥٠٠ صفحة من القطع الكبير - كذلك اتحفنا بـ «الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة» .

٤ - السيد عبدالله كنون الحسني :

من ابرع رجال الادب في المغرب ، ومن علمائه المعاصرين . وهو عالم ناقد شاعر ، مؤرخ يحمل الدكتوراه شرف في الادب من جامعة مدريد . له : « ذكريات مشاهير رجال المغرب » في عدة اجزاء ، ضمنها بحوثا عن شخصيات مغربية من ذوي الادب والعلم والفضيلة والحكمة والفقه والرحالة ، والتصوف والشعر .. وله في المجال البيليوغرافي : « النبوغ المغربي في الادب العربي (١) » ، جزءان : الاول بحث عام في عصور الادب الخمسة في المغرب : عصر الفتح الأول - عصر الموحدين - عصر المرابطين - عصر المرينين والوطاسين - عصر السعديين - عصر العلويين . فيترجم في كل عصر لمشاهير رجاله ويعرف باثارهم العلمية والدينية والادبية . اما القسم الثاني فقد خص بقسمي المنثور والمنظوم . فالمنثور يشتمل على التحميد والصلاة - الخطب - المناظرات - الوسائل - المقامات - المحاضرات - المقالات . والمنظوم يشتمل على الحماسة - الفخر الغزل - النسيب - الشوق - الوصف - الادب - الملح - الرثاء وذكر الموت - المدح والتهنئة والدعاء - وينتهي الكتاب بذكر مصادره العامة والخاصة ، بين مطبوعة ومخطوطة .

ومن غرائب الامور ومدهشاتها ان نرى الاستاذ عمر رضا كحالة يترجم في الجزء السادس (صفحة ١٠٥) من «معجم المؤلفين» يترجم لعبد الله كنون الحسني ويثبت وفاته عام ١٩٣٩ ، وذلك نقلا عن الفيكونت دى طرازي في كتابه : « خزائن الكتب العربية » : ٣٧٥ ، ويذكر في عداد مؤلفاته كتاب « النبوغ المغربي في الادب العربي » . والذى لدينا ان مؤلف كتاب « النبوغ المغربي في الادب العربي » السيد عبد الله كنون الحسني ، هو حي يرزق لليوم ، وقد تلقينا منه رسالة بخط يده مؤرخة في ١٤ اكتوبر ١٩٥٨ ، وقد تكرم واهدانا نسخة من كتابه هذا المنشور في المغرب ، عام ١٩٢٥ .

(١) - راجع فيه تعريفا للسيد محسن جمال الدين ، في الاديب ، سبتمبر ١٩٥٨ ص ٣٦ - ٣٧

٥ - عبد الحي الكتاني :

من كبار علماء المغرب اليومي ومن مشاهير ادبائه . له في حقل البيليوغرافيا : « فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات » في جزئين ، صدر عن المطبعة الجديدة بالطالعة ، في المغرب ، عام ١٩٤٦ ، في ٤٣٧ + ٤٨٦ صفحة والكتاب المذكور قاموس عام لتراجم المؤلفين في السنة ، من القرن الثامن الهجري الى سنة ١٩٤٦ ، وذيل على طبقات الحفاظ والمحدثين للحافظين ابن ناصر والسيوطي التي وقفا فيها على اواسط القرن التاسع ، فذيل عليها الى زماننا هذا ، اي الى اواسط القرن الرابع عشر الهجري . وقد كاد يجمع فيه صاحبه الفهارس والاثبات التي الفت في علم الرواية ، مع بيان روايته لها وطريقته الى مؤلفيها ، وبيان ما طبع منها مع تراجم كثير من الحفاظ والمحدثين . وهو ناطق بسعة علم مؤلفه وكثرة اطلاعه وعظم عنايته بعلم الحديث . وقد ذكر في مطلع الجزء الاول منه ، ما له من المؤلفات التي اربت على المائتين ، وتجد ثبتا لها في مقدمة الكتاب . وهكذا قلما تجد عالما في الاسلام اشتغل بالحديث وعلومه اشتغالا بعيدا ، ارتفع به ذكره ، الا وتجد ترجمته فيه مبسوطة (٢) .

والسيد الكتاني ، خبير بالكتاب العربي ، بصير بشأنه وقيمته جماع له ، متسقط لمظانه ، انشأ له مكتبة خاصة هي من اغنى المكتبات الخاصة في العالم الاسلامي ، زارها الامير محمد علي بن توفيق الاول ابان رحلته الى افريقية (راجع رحلة الامير محمد علي في شمالي افريقية ص ٤٧ - ٤٨) .

يوسف اسعد داغر والعمل البيبليوغرافي

يشرفني ان اكون في عداد الذين يعملون مسلكيا في خدمة علم البيبليوغرافيا والفهرسة المنهجية في الاقطار الشرق الاوسطية عامة والعربية خاصة . ولعلني لا اعدو الحقيقة اذا ما ذهبت للقول باني الوحيد ، في العالم العربي ، الذي يقف في هذا السبيل كل نشاطه ويخص هذا المجال ، منذ نحو ٢٥ سنة ، بالقسم الاوفى والنصيب الاوفر من اوقاته وجهوده .

اما ما رميت اليه من جهودي المتصلة في حقل البيبليوغرافيا ، فمد الابحاث والدراسات العربية ، ولاسيما ما تعلق منها بالادب العربي ، قديمه وحديثه ، بعدة واداة اردتهما ادهى ما تكون العدة مضاء والاداة دهاء بحيث يكونان من الوسائل الاساسية ، في البحث العلمي المخدوم ، في الشرق العربي ، ولمن يبغي الغوص في هذه المجالات .

(٢) راجع في الجزء الاول من هذا الكتاب ، عرضا موجزا لمسعود الكواكبين ، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - مجلد ٩ : ١٢٥

ان نتائج هذا الجهد موصوفة بايجاز واقتضاب في الكراسين اللذين وزعت منهما نسخا على عدد كبير من الزملاء الاكارم الحاضرين هنا · فاذا ما تكرمتم بالقاء نظرة ملية على الكراس الاول الذى يصف بعض المؤلفات التي وضعتها والفهارس الببليوغرافية التي هي قيد النشر او الاعداد ، كان بوسعكم ان تقدروا حق التقدير النتائج التي ادى اليها هذا الجهد المتصل ، مع انني لا ازال اعتقد في الصميم ، بالرغم مما تبعثه نظرة فاحصة الى محتويات هذا الكراس ، من ارتياح ورضى في النفس ، ان المهمة امامنا ، لا تزال شاقة ، صعبة ، وان الطريق للنهوض بها ، على الوجه الاكمل والامثل ، لا يزال محفوفا بالمشاق والمخاطر ، من كل جانب ·

وهذه الفهارس الببليوغرافية التي اعددنا قسما كبيرا منها فظهر بعضها مطبوعا ، ولا يزال معظمها ينتظر الظهور، قوامها الركين فهرسة منهجية ، علمية ، بعلم واصول لمجموعة كبيرة من المجلات العربية الكبرى وامهاتها في العالم العربي ، تضم ١٢٥ مجموعة كاملة من مجاميع هذه المجلات ، مما طلع في سماء لبنان وسوريا ، ومصر ، والعراق والمهاجر الاميركية ·

كذلك فهرسنا على النهج ذاته والاصول نفسها ، لعدد من الادلة والفهارس والاثبات التي تصدرها دور النشر الكبرى او مكاتب باعة الكتب وتجارها في هذه البلدان او ما تصدره منها المكتبات الاستشراقية في البلدان الاوروبية

وقد اقتضتني عملية الفهرسة هذه نحوا من ٢٠ سنة متصلة عادت علي باكثر من ٦٠٠،٠٠٠ بطاقة او جزازة · ومن هذه الحصيلة استمد مادة الفهارس التي نشرتها او انا في سبيل اعدادها · ويؤلف مجموع هذه الفهارس التي ترون ايها الزملاء عناوينها مثبتة باوصافها في الكراس الأول عدة للبحث العلمي ، تتفق وحاجة الثقافة العربية الملحة لمثل هذه الذرائع الاساسية ، هذه الثقافة التي تفتقر في الصميم ، الى وسائل التعريف بها ، والاقنية الموصلة لها لمن يطمح فيها ·

وحاجات الثقافة العربية تعرفونها اكثر مما اعرفها ، وذلك من خلال تمرسكم الجاهد واضطلاعكم بالدراسات العربية . ولا اعتقد ان امرئا تحسس بها باشد مما تحسس به ، ووضعها باحسن مما تم للمستشرق الروسي الكبير المرحوم اغناطيوس كراتشقوفسكي (+ ١٩٥١) ، شيخ المستشرقين ليس في الاتحاد السوفياتي فحسب ، بل ايضا في اوروبة جمعاء. وذلك في بحث له مخدوم ، آسر ، دقيق ، نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، في المجلد والعاشر الذى صدر عام ١٩٣٢· طالعت المقال المذكور مليا واعدت قراءته في ما بعد مرارا ، وتتبعت ما فيه من افكار واقتراحات سخية ، وتشبعيت مما فيه من نار ونور فاتصلت بنفسي الشعلة التي اضطرم بها قلب كراتشقوفسكي وجاشت بها نفسه · واسرني منه على الاخص الصورة الكاملة التي رسمها لحاجات اللغة والثقافة والادب العربي، ونفذت الى ابعد اغوار النفس الصرخة الداوية التي اطلقها مجلجلة في اسماع الغير من خدام هذه الثقافة الخلص ، بحيث لا ازال لليوم ، تحت وقع هذا المقال الطيب وتاثيره البالغ ، اعمل جهد الطاقة، في تحقيق الاقتراحات الكريمة التي اوصى بها كراتشقوفسكي ، وتبدت له قمينة بالنهوض بالثقافة العربية الى المستويات العلمية التي ارادها لها هذا المستشرق الكبير لتعصير وسائل الاخذ باسباب الثقافة والأدب العربيين ·

واود هنا ان اسوق اليكم اهم الاقسام الببليوغرافية التي اعددتها ، فنشر بعضها والبعض الاخر ينتظر فسحة الامل وميسرات النشر واسعاد الحال · من ذلك .

١ ـ الشرق في الادب الفرنسي بعد الحرب ، بين ١٩١٩ ـ ١٩٣٣ نشر في بيروت ، عام ١٩٣٧ ، في ٣٢٠ صفحة ·

٢ ـ دليل مكتبات الشرقين الادنى والاوسط ـ بالفرنسية كسابقة ـ نشر عام ١٩٥١ ، في عداد مطبوعات اليونسكو ، في ١٢ + ٢٠٠ صفحة .

٣ ـ ٣٥٠ مصدرا في دراسة ابي العلاء المعري : بمناسبة العيد الالفي للمعري ـ بيروت ١٩٤٤

٤ ـ القصة الروسية واثرها في الادب العربي الحديث ـ يتضمن كشف ١٧٠ قصة او رواية روسية تم ترجمتها الى العربية من الروسية ، اما نقلا مباشرا او عن ترجمات بلغات اجنبية بيروت ١٩٤٦ ، في ٥٠ صفحة ·

٥ ـ فهارس المكتبة العربية في الخافقين ـ وهو كتاب شامل يتضمن التعريف المؤصل باهم الفهارس العربية الموضوعة للكتاب العربي ، مطبوعا ومخطوطا في الشرق والغرب ـ بيروت ١٩٤٧ في ٢١٠ صفحات ·

٦ ـ دليل الاعارب الى علم الكتب وفن المكاتب ـ وهو كتاب لم يسبق الى وضعه باللغة العربية في علم المكتبات وفن ادارتها الحديث ، وترجمة علمية مبسطة لطريقة التنسيق العشري اكثر الطرق انتشارا في تنظيم المكتبات في العالم اليوم ـ بيروت ١٩٤٧ ، في ٦٧٥ صفحة ·

٧ ـ مصادر الدراسة الادبية ـ الجزء الاول ، خاص بالادب الجاهلي والادب الاسلامي ـ بيروت ١٩٥١ في ٣٧٥ صفحة ، يحتوي على الاصول الببليوغرافية لمشاهير شعراء وادباء الجاهلية والاسلام وفقا لمناهج التعليم الرسمية في لبنان ـ سوريا ـ مصر ـ العراق

٨ ـ مصادر الدراسة الادبية · الجزء الثاني : ادباء النهضة الادبية الحديثة بين ١٨٠٠ ـ ١٩٥٦ يحتوي على ٢١٠ دراسات لمثل هذا العدد من مشاهير ادباء النهضة

الادبية ، مع الاصول البيليوغرافية لدراستهم دراسة علمية، جامعية ـ بيروت ١٩٥٦ ، ص ٨٧٠

كل هذه اصول طبعت ونشرت وتداولتهـا ايدي الناس وافاد منها كثيرون ، بحيث اوجدت طريقة اتبعها كثيرون في العالم العربي واقتبس منها كثيرون حتى حدود السطو والسلب والنهب • والقرصنة الادبية •

اما ما منها برسم النشر والطبع فهو :

٩ ـ مصادر الدراسة الادبية • الجزء الثالث ، وهو تتمة الراحلين من ادباء النهضة الادبية الحديثة بين ١٨٠٠ ـ ١٩٥٨ ، فقد ضمنته ٣٠٠ دراسة لمثل هذا العدد مـن مشاهير ادباء النهضة ممن لم يتسع الجزء الثاني للترجمة لهم او ممن توفوا في السنوات الثلاث الاخيرة في العـالم العربي • ويقدر ان يأتي هذا الجزء مع مساردة العلمية في نحو ١٢٠٠ صفحة من الحجم الكبير :

١٠ ـ مصادر الدراسة الادبية : الأدباء الاحياء ، وهي سلسلة تقع في٤ اجزاء كبيرةترجمت فيها لمشاهيرادباءالعصر الاحياء في العالم العربي اليوم ، وعرفت بمؤلفاتهم وآثارهم القلمية وتضم هذه الاجزاء ما لا يقل عن ١٠٠٠ اديب او كاتب من ادباء العصر وكتابه المرموقين •

١١ ـ فهرس المسرح العربي والروايات التمثيليـة الموضوعة اصلا بالعربية والمنقولة اليهـا بالترجمة وقـد عرفت فيه باكثر من ٢٥٠٠ قصة تمثيلية •

١٢ ـ القصص في الادب العربي الحديث ومشاهير القصصين في العالم العربي اليوم •

١٣ ـ فهرس مصادر التربية والتعليم في العـالم العربي •

١٤ ـ فهرس الاسماء المستعارة لكتاب الادب العربي الحديث •

١٥ ـ فهرس القصة والاقصوصة والرواية العربيـة الموضوعة والمترجمة ، يضم اكثر ١٠،٠٠٠ بطاقة •

١٦ ـ فهرس المصادر العربية للفلسفة والابحـاث الفلسفية •

١٧ ـ فهرس المراة العربية والنهضة النسائية فـي الشرقين العربي والاسلامي •

١٨ ـ فهرس الكتب المترجمة مـن اللغات والاداب الاجنبية الى العربية ، بين ١٨٠٠ ـ ١٩٥٨ ، وسيقع عند نشره في ٣ مجلدات ضخمة •

١٩ ـ فهرس شامل للمؤلفين اللبنانيين بالعربية ، في كل عصر ومصر •

٢٠ ـ فهرس المؤلفين اللبنانيين باللغة الفرنسيـة وجريدة مؤلفاتهم •

وقد نشرت الى جانب هذه الفهارس العامة التي نوعت بعناوينها ، بعض فهارس بيليوغرافية خاصة ، تتعلـق بموضوع معين ، خاص • من ذلك مثلا :

١ ـ مريم العذراء في المكتبة العربية ـ وهو فهرس اعد بمناسبة احتفال العالم الكاثوليكي بالذكرى المئويـة الاولى لاعلان عقيدة الحبل بلا دنس (١٨٥٣) ظهر منشورا في مجلة الرسالة المخلصية يقع في ٣٥ صفحة •

٢ ـ المهاجرة اللبنانية ـ فهرس يضم كل ما كتب عن المهاجرة في لبنان ، من مؤلفات ومقالات وابحاث، اعـد بمناسبة السنة السياحية في لبنان ، عام ١٩٥٤ ، يقع في نحو ٢٠ صفحة •

٣ ـ شكسبير باللغة العربية ـ فهرس يضم كشفـا كاملا بما ترجم من مؤلفات شكسبير الى العربية وبيان ما كتب عنه من بحوث ودراسات باللغة العربية •

٤ ـ غوتيه باللغة العربية ـ فهرس يضم بيان مـا ترجم من مؤلفات غوتيه الى العربية والمقالات والابحاث العربية المعقودة عليه ، ظهر في مجلة الكتاب بمناسبـة الذكرى المئوية الثالثة لميلاد غوتية •

هذا بعض ما وضعت من الفهارس البيليوغرافيـة المنهجية ، بالاضافة الى تاريخ المكتبات الشرقية الذيوضعته في التاريخ لهذه المؤسسات العلمية منذ عهود التاريـخ القديم حتى يومنا هذا • والتاريخ المذكور يقع في نحـو ١٥٠٠ صفحة كبيرة مضروبة على الالة الكاتبة •

واود هنا ان الفت انظاركم الكريمة في غير اثقـال واحراج ، للاهمية الخاصة التي يرتديها فهرسان من هذه الفهارس العديدة التي جرى اعدادها ، هما « مصـادر الدراسة الادبية » و « فهرس الكتب المترجمة الى العربية » فالاول سيقع في ٦ أجزاء علىالاقل بحجم المجلدين المعروضين امامكم على هذا المنبر • وسيعوف تعريفا علميا ، منهجيا بعلم واصول ، بمشاهير ادباء العرب قديمهم وحديثهم ، وتركيزهم تركيزا علميا في الزمان والمكان والمقام ، مـع تقييم ما لهم من مؤلفات مطبوعة بصفاتها المميزة • كمـا كانت تثبت الوف المصادر والمراجع التي تعود لمجموعهم • وبهذا يظهر لكم ايها السادة غنى هذه المجموعة والمحـل الذي ستحتله في الدراسات الادبية المؤصلة •

اما « فهرس الكتب الاجنبية المترجمة الى العربية » فهو اشبه ما يكون بمعجم للكتب الاجنبية التي جرى نقلها الى العربية ، منذ عام ١٨٠٠ ـ ١٩٥٨ ، من اية لغة اجنبية• ويضم الفهرس المذكور ما يزيد على ١٢٠٠٠ بطاقة مرتبـة هجائيا باسماء المؤلفين الذين نقلت آثارهم الى العربية ، بحيث تجد اسم المؤلف : عنوان الكتاب المترجم بلغتـه الاصيلة ، اذا كان بالفرنسية او الانكليزية ، وعنوان الكتاب منشورا بالعربية ، واسم المترجم او المترجمين ، ومحـل النشر وتاريخه ، وعدد الصفحات ، والاشارة الى ما فيه من خرائط ورسوم وصور ، وغير ذلك من المعلومات والافادات

الجاري التعارف بها بين المفهرسين والببليوغرافيين ·

والفهرس المذكور مزود ايضا بمسارد خاصة باسماء الناشرين والمطابع ودور النشر التي جيء على ذكرها في الكتاب تسهل استخدامه والافادة منه بايسر سبيل ، كما تجد فهرسا خاصا بموضوعات العلوم والفنون ، واخر بعناوين الكتب الوارد ذكرها في الكتاب ·

فاذا ما استفضت امامكم ببيان هذه الفهارس التي اعددناها وتحليل محتوياتها ، فلانني اعرف جيدا الاهمية التي تعلقون على هذه الفهارس العلمية ، التي يؤلف مجموعها خير اداة للبحث العلمي المركز · واني لاشكر سلفا من الصميم ، كل من يتكرم منكم باقتراح او نصح او مشورة تساعد في تعجيل ظهور مجموعة الفهارس التي اوردت هنا اوصافها مجتمعة ومنفردة ، هذه المجموعة التي تؤلف اكبر محاولة قامت في العالم العربي ، لمد البحث العلمي فيه بمثل هذه العدة الكاملة · كذلك اشكر لكم سلفا كل عناية واهتمام او مسعى تأتونه في هذا السبيل · ان هذا المؤتمر الاستشراقي الدولي ، هو على ما نعتقد خير مجمع ومجتمع يعنى بدرس مثل هذه القضايا التي تهم مستقبل الثقافة العربية في الصميم ، هذه الثقافة التي توفرت اجيال سابقة من السلف الصالح على خدمتها وحرثها ، فجئتم انتم تتمون الرسالة وتنهجون النهج القويم في خدمتها خدمة نصوحة شكورة ·

منى وآمال وتمنيات

من الثابت والراهن معا ان الببليوغرافيا علم جاف ، وبحث عاق ، ناشف ليس فيه ما يشوق طلاب العلم او يحملهم على الاقبال عليها والانقطاع لها · ولهذا نرى الشباب في الشرق العربي يعرضون عن هذا العلم الى غيره من النشاطات الفكرية والادبية اكثر طلاوة وتشويقا واغراء واوفر ربحا ومردودا ، وايسر اخذا · فاذا ما شئنا وشئم المزيد من الفعالة في هذا الحقل الببليوغرافي ، كان علينا مناصرة هذا الفريق الذي يكهن للببليوغرافيا وتشجيعه ·

ولنا ملء الامل في ان تبادر الدول العربية وحكوماتها، بعدما قيل وتردد من اشتداد الوعي القومي فيها ، والتحسس بالمسؤوليات المترتبة عليها ، الى مد يد المساعدة للعاملين في حقل الفهرسة العلمية ، وتعهد الميل في من يأنس في نفسه الميل لمثل هذه الخدمة العلمية المجردة في حقل الفهرسة · واننا نرجو صادقين ان تبادر هذه الدول العربية ، او بالاحرى اكثرها اخذا باسباب التطور والتكمل الى انشاء معاهد ببليوغرافية وطنية في كل منها تأخذ على نفسها النتاج الفكري في كل منها ، واحصاء كل ما تطلع به حركة النشر والتأليف والترجمة منها ·

ولعل الجامعة العربية ، تبادر هي الأخرى لانشاء معهد مركزي للببليوغرافيا يكون معهدا نموذجيا تنسج الدول العربية المشتركة فيها على منواله ، في التنظيم والاعداد ، ويقني احصاءات الدول العربية في انتاجها الفكري ويبلورها في سلسلة من المنشورات الشهرية او الفصلية او الموسمية ، تكون صورة صادقة لحركة النشر والتأليف والترجمة في مجموعة البلدان العربية ، وبذلك يسهل في كل بلد من بلدان الشرق العربي نشر ببليوغرافيا وطنية ، تتخذ منها الدائرة الثقافية في الجامعة العربية تكأة لوضع فهرس عام للكتاب العربي ، ان لم يأت كاملا عند الانطلاقة الاولى ، اتجه تباعا الى التمام والكمال في محاولة ثانية · اما ان يترك امر الفكر والانتاج الادبي في العالم العربي الذي يتشوق الى دور القيادة والتوجيه ، على مثل ما يتخبط فيه من فوضى وجهل وجهالة فامر نرغب في الصميم بان تضع له الدول العربية حدا قاطعا ليبشر بعهد التنظيم لتستطيع معه الانتاج الفكري العربي من الاعتداد والمباهاة يوم ننتسب ·

والمخض في النفس والمحز لها في الصميم هو ان تتوالى مؤتمرات ادباء العرب لحاقا بعضها ببعض ، وليس في مناهجها جملة وتفصيلا ، ولا في مقرراتها ما يدعو الدول العربية والجامعة العربية التي تمثلها لمثل هذا التخطيط الاساسي في تنظيم حركة الانتاج الفكري والتعريف به محليا ، اقليميا ، وطنيا او دوليا · ففي تنظيم الحركة الفكرية والتعريف بالانتاج الادبي في كل من البلدان العربية، تنظيم للمكتبة العربية واشراقة للثقافة العربية ·

ولا يسعني هنا الا ان اتمنى على الجامعات القائمة في البلدان العربية ولا سيما الاجنبية منها ، التعاون الوثيق في ما بينها على انشاء معهد فني لتدريس المكتبات وعلم الببليوغرافيا ، تعتمده الدول الأخرى في تأمين تخريج من ترغب في تخريجهم من امناء عصريين لمكتباتها العامة · كذلك ليس بكثير على كل من هذه الجامعات ان تضيف على برنامجها التدريسي العام ، مادة تدريس الببليوغرافيا العام ، على طلاب الصفوف العليا ، بحيث لا يبلغ الواحد منهم طور التخريج الا ويكون تخرج باهم الاصول الببليوغرافية ، وتعرف الى اهم المراجع والمصادر العامة في حقول العلوم والفنون ، وهو من اقل مقتضيات الثقافة العامة اليوم · ولا شك عندي ان مثل هذه الدروس والمحاضرات تلقى على طلاب الصفوف العليا في الجامعات ، تثير بينهم الدعوات لهذا العلم ، فيقوم من بينهم من يكهن للببليوغرافيا، ويتمرس بها · وبهذا ننمي فينا وفي الاجيال الطالعة الحاجة الماسة الى هذا العلم الذي لن يستقيم لنا تنظيم علمي قومي الا على اسس راسخة من الببليوغرافيا كعلم وفن ·

يوسف اسعد داغر

الشاعر

•

اتركيه يذوب في آهاته ... لم يمتع شبابه بحياته
ابصر النور من خلال الدياجي ... فعلى وجهه اصفرار شكاته
اسمعي الناي ... هل ترين بهاغير ... بكاه وملتقى أناته ؟
وعويل الرياح تعصف بالغاب فتمشي على هدى خطواته
سار في مهمه الحياة بعيدا ... بين خلانه وبين عداته
فرأى حقه ذبيحا مضاعا ... ورأى الدهر دائبا في أذاته
شاعر ينشد الحياة انعتاقا ... ويخط الجمال في نغماته
أي لحن لم تروه شفتاه ... ويعطر بقلبه ولهاته ؟
يبعث الآه من حناياه شجوا ... فتميد الاضلاع من آياته

أتركيه يموت قبل مجيء الصبح ... قبل انبثاقه والتفاتيه
وغدا عندما تلاشى رؤاه ... وتنام الحجار فوق رفاته
هل تزيحين عنه عبء الليالي ... أم تزيدين وقره في مماته ؟
وحيال القبر المروع نوحي ... بل دعيه .. لا توقظي ذكرياته

حمص ... عبدو مسوح

صباح

•

الصحاري التي تنام على زندي افاقت جريحة الكبرياء

اي اغنية انا .. اهدم السور المنوي على دروب الضياء
انبش الحلم في المجاهل اروي ظمأ الهائمين في الاوداء
والاساطير معصمي ، ووشاحي رقة الحب وازرقاق الرجاء

آن لي ان احيك اشرعة النور والهو مع الشذى الوضاء
آن لي ان اعرى النغم المخمور .. ان انحت الجمال النائي ..
ان يسيل الينبوع من لمس جفني .. ان ترف الاعراس في اجوائي !
كرمتي تلك ، كرمة الوحي ، عادت : يتغنى عنقودها في دمائي
فالصخور الحمقاء عني توارت ، وتوارى الجليد عن حوبائي
وانثني دنى كعرى الاغاريد .. كنيسان في طري الرداء !

مرحبا بالصباح ينقر قضبان المساء العتي في بيدائي !!

حلب ... علي الزيبق

للمرة الثانية تدعوها امها باغراء الى العشاء · الاكلة تعجبك وللمرة الاولى ترفع عينيها عن الدفتر المبسوط امامها على الطاولة تحل طلاسمه ، حروفه المعركجة ، وتسمح لشفتيها ان تجيبا النداء :

ـ طولي بالك ياماما ، راح انتهي من التصليح ·

فروض · واجبات مدرسية ·

تعيش في سجن · امها لا تحب لها ان تخرج الا برفقة صويحبات تتدخل في انتقائهن كاثوابها التي تحتاج منها عناية خاصة : هذا حشم هذا ماعاد يليق لك ، اتركيه لاختك · بل تعيش ساعات النهار في انتظار دقائق الذهاب الى المدرسة والاياب ، فتسمح لعينيها ان تتنزه بحرية وعفوية

وترمي القلم الى جانب كدسة الدفاتر ، بعد ان قلبتها بين يديها واحد ، اثنان ، ثلاثة ·· ثمانية · اف بعد عليها ان تتحمل قراءة سخافات ثمانية · ان تكنس عينها السطور باحثة عن غلطة تشطبها بالقلم الاحمر

وقامت الى المغسلة متثاقلة تغسل يديها مما علق بها من رائحة الورق من الحبر الاحمر ، من بقايا ممحاة · وهالها ان ترى هذا الاصفرار يعلو وجهها · ما بالك يا روحي متغيرة اللون هكذا ؟ اتحسين بالم ؟

لم تقل لامها انها تتالم · الالم في قلبها · بل اكتفت ان تتقي الامر بكذبة صغيرة : أحس بانزعاج· الامر بسيط · لا تشغلي بالك ·

وهمها ان يكون قد لاحظ هذا الاصفرار ، هذا الذبول الذي يعتري عينيها ، فمها ، صدرها ·

لم تشعر به الا يتتبع خطاها يلقي في اذنها من وراء :

ـ ولو خذينا بدربك · سلام على المعرفة ·

وتلتفت · انه صوته الذي استمعت اليه من محطة الاذاعة منذ اكثر من شهر يلقي احدى قصصه التي لمح فيها عن علاقته بها · وودت يومها لو تستطيع ان تضمه الى صدرها بحنو · ودت لو انه هو بلحمه ودمه في بيتهم يتحدث · عينها في عينه وصوته يتغلغل في اذنها باكثر صفاء ، باكثر عذوبة ، ولكن التقاليد هي التي لا تسمح له ان يدخل بيتهم في امر طلب يدها · كان ذلك الاستاذ الاكرش ، المدخول في عقله احق بان يدخل بوقاحة في طلب يدها بعد ان اوقف سيارته الـ «بيجو» الضائعة اللون في زاروب بيتهم · وهو ايبقى يسترق الحديث اليها استراقا ؟ ايبقيان العمر في حلم يتحقق او لا يتحقق ؟

التقاليد ؟ ان في يدها ان تحطم التقاليد · هو صمم ان يحطمها ويحطم معها مشيئة ابيه واخواته · وان كان يعز عليه ان يحطم مشيئة اخواته ·

الملاءة السوداء

بقلم عادل الاعور

صفراء اللون هي · احست بانها اجرمت ردت تحيته بايجاز ، واسرعت الى السيارة الواقفة قرب الرصيف تغيب داخلها · ليتها تستطيع ان تفهمه انها لا تتهرب منه ، بل من وضعها الرهيب ·

وتطلعت الى المرآة مليا · انها تحس بتفاهة الحياة · كان ليس لها ان تحيا كما تريد ، كما يريد ضميرها وقلبها ·

جميلة ابو حيرد فتاة مثلها · استطاعت ان تقاوم ، وان تصمد امام حكم الاعدام حتى ارغمت فرنسا على ابدال الحكم ·



كم تحمست لجميلة · تالمت معها في زنزانتها الخانقة ، وكم تمنت لو تكون جميلة بالفعل ، بعمل كبير ، باقدام يلفت الانظار ·

التقاليد حكمت على قلبها بالاعدام ولكنها ستحاول ان تلغي الحكم · في الاقل ستبدله ، وليكن من امر ذويها ما يكون ·

رائد صادق في علاقته معها · هو يريدها زوجة · اما ترى بعض زميلاتها يتقلبن بين احضان الشباب لازجاء فراغ ، لاطفاء نزوات ·

أخذت المنشفة تنشف وجهها ويديها · تمنت لو تستطيع ان تخفي وجهها عن نفسها الى الابد · ان تغيب عن ذاتها · انه صادق في علاقته معها واذن لاستطاع ان ينساها · ان يتخذ صديقة اخرى ·

عرفت عنه انه يتعفف عن النساء انه يكرههن · قال لها مرة في بدء علاقتهما :

ـ لو لم تكن امي بين النساء لكفرت بهن ·

ويوم اخذت تتوطد العلاقة قال لها مازحا :

ـ أأستطيع ان اقول الان : لو لم تكن امي وحبيبتي بين النساء لكفرت بهن ؟

وضحكا للنكتة ·

علقت المنشفة بعصبية · اعصابها متوترة · اصابعها مشنجة · صدرها يخفق بلهفة ، واحمرار يعلو وجنتيها تذكرت ان ليس هكذا كان يجب ان تفعل · ولكنه يثيرها باتهامه انها طفلة اطفلة هي ؟

اما آن ان يتصافيا · اكثر من عام بقيت العلاقة بينهما على انقطاع هي لا تحسب هذا العام من عمرها · ترفض ان تصدق انها لم تسمع صوته اكثر من عام · لم تجلس اليه · لم تحدثه لم يزعلها · لم يثر غيرتها · لم يتهمها بالاجرام ·

ـ انت مجرمة ·

قالها مرة بانفعال ·

تدري انه لم يقل لها هـــذا الا ليبرهن لها كم هي مكابرة كم هي عنيدة · عام لم تسمع صوتـه خلاله يحدثها عن المستقبل · صح · انهـا مجرمة · او ليس بمجرم الا من حمل مسدسا واطلق رصاصة ؟ او ليـس مجرما لا يغفر هفوة· تفضحكها علاقتهما احيانا ، هذه العلاقة الشريفة ·

احبته ·

احبها ؟

ولم اذن كان يلاحقها طيلة الصيف من بعيد لبعيد · يحرص دائما على ان يراها ، على ان يتركها تراه · وهي كم مرة هربت منه وحاولت الا تدع عينه تلتقي بعينها ·

دارت معركة مرة بين عينها وعينه معركة كادت تستسلم فيها ، الـم تعد الى غرفتها ، وهي خارجة في نزهة مع صويحباتها ذات عشية ، لتعود وتقف على الشرفة امامه ؟

في المدرسة الرسمية حيث تعلم تابعها · كل اسبوع كانا على موعد هو في سيارته بين الصنوبرات بعيدا وهي على الشرفة تتركه حينا ان يراها وتختبيء وراء ستارة احيانا كثيرة ·

بل هو المخطيء· او ليس يستطيع كان ، ان يكالمها ، ان يفتح المجال لاعادة العلاقة ؟

العصافير المزقزقة ، والصفصفات الخجول ، والصنوبرات المزدهيـات الاخضرار تذكرانها كانت تنتظره في كل عشية· بل وحده سريرها والمصباح الكهربائي الطفيء والطاولة المزدهيـة بخوان نظيف لولا نقيطات حبر فـي طرفه الايسر تشوه بياضه ، تشهد ان بكت عيناها حتى الاحمرار ، وان انات صعدها قلبها المعذب ذات ليلـة لأن اسبوعا مر ولم تره خلاله ·

ما خرجت في مشوار الا وتوقعت ان تراه الا وتمنت ان تلمحه ولو فـي سيارة مسرعة ·

وهو في كل مرة كان يكتفي ان يراها ، من دون ان يسمح لشفتيه ان تلقي عليها التحية · أكان يخاف ان تصدمه ، ام كان يود ان يختبر وفاءها

احبته ·

اعطته كل قلبها ··

رغم انها تحس بصعوبة ان تحبه ان تعطيه قلبها · او ليست مشكلة ان تحبه ، وان تعطيه قلبها ؟

امها لا يمكن ان تسمح · جدتها لا يمكن ان تتصور · خالها سيتهمها بالجنون ، بالحاق العار بشـــرف العائلة ·

اتحبينه ؟ على ماذا ؟ غني ، مثقف مهذب ، ، ابن عيلة · او ليس فـــي محيطك اغنياء ، مثقفين مهذبين ، ابناء عائلات مجنونة انت؟ يا ضيعان العلم الذي حصلتيه · كنا نود ان تطلعـي علينا بخبر قبولك بالخطبة من ··

سامي ؟

سامي ؟

دائما سامي · حين تخرج الـــى المدرسة تشيعها امها بـ :

ـ حطي عقلك برأسك ، سامي شاب مليح · صعب تلاقي مثله · متعلم لطيف ·

يا لطيف · حين تعود في المساء تحاول امها ان تعود الى موضـــوع الزواج والى سامي بالذات ·

انها تكفر بمثل هذه الاحاديث · انها تضيق ذرعا · لتتزوجه امها ان كان يعجبها · اما هي فلن تقبل به زوجا · لا تستطيع ان تتصوره زوجا يطرق بابها في كل مساء شاب مليـح على عيني · ولكن ··

ـ ولكن «شو» يا حبيبتي ؟

خالها يهمه ان يزوجها به · مع انها تحس ، عبر حديثه ، انه لا يشجعها كفاية · انا بودك الصحيح ، يهمني ان تكوني مرتاحـة · فحديث زوجته المكرور هو ما يطلق لسانه في مثـل هذا الحديث ·

سامي ؟

صحيح · لماذا لا تقبل به زوجا ؟ انفه طويل ، حديثه ممل ؟ لا تـدري لماذا لا تستطيع ان تحس نحوه باكثر من احساس القرابة ، الحب بالغصب؟ أخته زوجة خالها ، وماذا بعد ؟

هي لا ترغب في ان تكون نجاحا خالته من المسيطرات عليهـــا · يوم حاول ان يخطبها تدخلت في الامر · ولعل ثقل دمها ما افسد التسوية · ثم خرجت تحمل عليها وتشيع بـــين المتسائلين ان ابن اختها هو الذي رفض في اخر لحظة ·

ـ يا اختي متكبرة علينا · ما عاد يعجبها العجب · وتغمز جارتها لتهمس في اذنها :

ـ يظهر انها تحب شابا اشقر ·

اجل· انها تحبه · لتقل خالة سامي ما تشاء لن تحب الا ذلك الشاب وازدهت ان تحبه· او ليس لها ان تحب من تريد ، وترفض من تريد ؟

· حرة تحب ان تعيش ، وان تتزوج وليس حتى لامها التي ربتها بعـرق جبينها ، بالليرات البخيلة التي تركها زوجها ، ان تتدخل · يوم سمحت لها ان تنال الـ «ب · ع» كانت تدرك ان ابنتها لها ان تختار من تريد زوجـا لا تستطيع ان تتصور انهـا لا تملك ان تختار · ما قيمتها ان لم يكن لها ان تختار ·· حرة تود ان تحيا ، وان تبقى ·

جدتها اختير لها الزوج · امهـــا اختير لها العريس · هي الا تختاره لنفسها بنفسها ؟

واذن ما قيمة الشهادة التي تحمل ما نفع السنوات التي ارهقت نفسهـا في التحصيل خلالها · وما الـــذي يميزها عن جدتها وخالتها وامها ونجاح افسطان «الديكولته» ام الرأس السافر ام القدم العارية من كلسات ؟

تكره ان تكون عبده ··

تكره ان تبقى سلعة ·

تكره ان تعيش العمر في مخالطة معايشة هذا المحيط السخيف الـذي لا ينظر الى الامور الا من وراء مـلاءة سوداء ·

سامي لا تحبه · ستبقى ترفضه مصطفى لا تطيق ان يجتمع اسمها مع

اسمه

سامي ؟ دائما سامي ٠

كانت على جفاء مع رائد يوم خرجت برفقة سامي الى مهرجان انتخاب ملكة جمال الجامعة٠

ولقيته هناك ٠ وحده كان يتفرج حرص على ان يبقى وحده ٠ كانه بعيد عن هؤلاء رغم التصاقه بهم ٠ كانه ليس من المزدحمين ، من المتحلقين حول بائع المرطبات ، من المتسكعين وراء فتيات ، كانه ليس من هؤلاء ٠ كانه غريب عنهم ، رغم ان له رأسا وجسدا وقدمين وعينين كالاخرين وان كانت النظارات لا تخرج به كثيرا عن الماالوف

وكم كان كبيرا ، كبيرا اذ بقي وحده ٠ رغم انها حاولت ان تكالمه ولكنه لم يستطع الا ان يقف الى جانب احدى صديقاته لحظة وقفت هي الى جانب سامي ٠ كيف سمحت لنفسها ان تقف مع سامي ٠ كيف سمحت ليد سامي ان تعانق خصرها ٠ لعل لتلفت نظره هو ، لتثير غيرته ٠

وتقدمت منه قرب بائع المرطبات والكلمة على شفتيها ، واللهفة في عينيها ، وفي قلبها وجيب ٠ لم تستطع ان تبادره بالكلام ، فقد اشاح بوجهه عنها ٠ ايتجاهلني الم يرني ؟ ايتعمد ان ٠٠٠٠

ودفعت صديقة رمزي الواقف الى جانبه ، وقالت تتعمد النكتة :

ــ يه ٠ حيد من الدرب ٠

لم يفه بكلمة ٠ كالتمثال بقي واقفا ٠ الم يشعر بوجودها ، الم يسمع مبادرتها بالحديث ؟

واحست انه صفعها ٠ انه جرح شعورها ٠ وغفرت له : او ليست تخونه اذا خرجت مع سواه ؟

تخونه ؟

تخونه ؟

لم تنتبه الى هذا الامر ، الى فكرة الخيانة ، الا الان ٠

صحيح ان لا عهد بينهما ٠ ولكنها في عمق اعماقها تحس ان عهدا رهيبا قائما بينهما ، لا تستطيع ان تقاومه ، ان تتخطاه ٠

احبته ٠

يكفي انها احبته ٠ او ليس في هذا اكثر من عهد ؟

فقط ان تشترك الالسنة في القاء العهود ، في استنفار الوفاء ، لكي يكون هناك عهدا ؟

هي تعرف انه على عهد معها لا يمكن ان يخونه ٠

تعرف هذا من نظرته اليها ، من تصرفه معها ، من حديثه ٠ لا يمكن ان يكون لسواها ، لا يستطيع٠ وتعرف كم يكبده ان يكون لسواها ، حتى ولو مرغما ٠

هو يخلص بشكل غريب ٠ التزاماته تجاه امور ، تافهة في حد ذاتها ، تؤكد لها انه لا يمكن ان يخون

تذكر المرة الوحيدة التي دخلا فيها احد «البارات» فطلب اليها ماذا تريد ٠ قهوة اميركانية ٠

وحين جاء «الكرسون» طلبا معا «شوكولا مو» واستغربت صديقتها ان تغير رأيها بسرعة ٠

ــ نسيت انك طلبت قهوة اميركانية (وتطلعت الى الكرسون الواقف) اثنين اميركانية ٠٠

ــ اطلبي لك ٠ رائد لا يأخذ ٠

اعدت له امه فنجان قهوة ، في اخر صباح رآها فيه ، ولم يتمكن من تناوله لان السيارة التي ستنقله الى المدرسة الداخلية اخذت تزعق في الخارج ، وفي اليوم التالي ، صباح اثنين ، جاءه نعيها ٠ ماتت ومن يومها لم يستبح ان يرتشف القهوة ٠ حرام عليه منذ ست سنوات ذكر لها ان امه توفيت صباح ٢ حزيران ٥٢ ٠ووريت التراب من دون ان يتمكن من رؤية وجهها ٠ قيل له انها اوصت به كثيرا وان روحها فاضت الى بارئها وشفتاها تتمتمان باسمه ، وتطلب له التوفيق في كل ما يعمل ٠

احست يومها بعظم العمل الشريف الذي سيقوم به قلبها ٠ ستكون له الام الرؤوم والحبيبة التي تخلص ٠

تتذكر كل كلمة من كلماته٠ وكل كلمة انحفرت بعمق في عروق قلبها ٠ انزلت تنزيلا ٠

حديثه الواثق ما زال يرن صداه في اذنها٠ والمقطع الاخير ينتفض باكثر صفاء ٠

ــ من يومها قررت الا اتناول القهوة ٠ لا تتعجبي ٠ اعرف سخافة عملي ٠ ولكنه رمز ٠ فكلما جلست الى طاولة ، وكلما قمت بزيارة لا بد لي ان اتذكرها ٠ ستبقى حية قبالتي تسمع حديثي وتجلس معي ٠ ولن يشاركها هذا الموضوع الا واحدة ٠٠ لا اعرف اسمها بالضبط بعد ٠

ليلتها لم تنم ٠ أحست بمغص٠٠ وبقي حديثه يتجاوب معها ، يتكرر باكثر لوعة في صدرها : ينحفر ، ينحفر ، ينحفر :

حتى لتذكر الان كل كلمة كل اشارة كل طرفة عين ٠ بل لتذكره وهو منطلق في الحديث ــ طيف دمعة صغيرة صادقة، غامت في عينه ولكنها لم تمطر. عينها في عينه للحظة ٠ واذنها معه في كل لحظة ، تلتقط ٠ في تلك اللحظة أحست انها ترتبط به الى الابد ٠ ٠٠

ولكن عبارة «لا اعرف اسمها بالضبط بعد» بقيت افكارها تجترها تلوكها ، تقلبها ، وبقيت تلوع قلبها تثير لديها سؤالات ٠

من هي هذه ؟ او ليست هي ؟

وتقدمت الى الطاولة تتناول العشاء

قدمت اليها امها صحنا مليئا ٠ حاولت ان تبتلع اللقيمات بشهية كاختها ، كاخيها حسان ، فلم تستطع ٠ بل اكتفت ان تتسلى ببعض لقيمات تتناولها بتكلف من هنا وهناك من الوان الطعام المنتشرة على الطاولة رغم الحاح امها ، رغم تمنيها ان تاكل ما اعطيت ٠ فاللقمة تعلق في بلعومها تغص بها ٠

في اسبوع الجزائر تمنت ان تلقاه، وان يشتركا معا من اجل نصرة الشعب المكافح ، الثائر على الاستعمار

ورتبت في ذهنها حديثا · ستبادره بالتحية ، ستبادره بالسؤال : لماذا تبعت سيارتنا الى صيدا المرة الماضية؟ ·

اتساله مثل هذا السؤال · وهي التي تركت ذويها على الصخور لتصعد الى الرصيف يوم رأته يتمشى على شاطيء البحر · تحبه · الم يحس بهذا ، الم يدرك هذا ؟

وطلب اليها ان يلتقيا · رفضت لا تدري لماذا رفضت مع انها تتمنى تلهف · واحست بفداحة الخطا ساعة وضعت رأسها على المخدة · لم تنم · لماذا لا تلتقيه · امن الجريمة ان تلتقيه

ـ مستعد ان القاك في اي مكان

ـ انت تعرف وضعي ،لا يسمح ادرك انها تريد · ولكن «وضعي لا يسمح» اسكته ·

واذ الح بطلب لقاء سالته :

ـ اتنتظر عشر سنوات ؟

قال لها لسانه : لا لست على استعداد · «النرفزة» حركته ·· اما قلبه فود لو يستطيع ان يعلن لها انه سيأتيها في الثامن عشر من شباط سنة ١٩٦٨ لينتظرها امام محل «ديزيريه للنوفوتيه» حتى ولو تاكد انها لن تاتي ، سياتي ·

دائما تتهرب منه ·· دائما تتركه عرضة للالم · انها لتخطيء بحق نفسها اولا · ولكنها تبغى ان تبرهن له انها لم تعد طفلة ، كما يحلو له ان يتهمها فليطمئن انها اكبر من ان تبقى طفلة يعذبها ان لا يرى فيها غير طفلة ·

اطفله هي ؟

كم تود لو تلقاه ليتفاهما على امر ولكنها تخاف العيون الواشية ،النمامة

اتراه يفهم موقفها ، ويغفر لها؟

غدا حين تلقاه ، ستفاجئه : اين تريد ان نلتقي ؟

كم مرة شجعت لسانها على مثل هذا القول · ولكن حين تراه لا تدري لماذا تغير الحديث ، لماذا ترفض ، اذا طلب ··

عادل الاعور

ثورة الجزائر

•

يا نضال العرب الاحرار في ارض الجزائر
وصراخ الحق في وجه الفرنسي المكابر
انت فجر عربي
لتراث يعربي
فجرته يقظة الحر ووثبات الابي
أنت دنيا من جهاد
أزهرت فيها الكرامة
وانتفاضات أبيات وعز وشهامة

قم لندفع من دمانا للبطولات ضريبة
ونحرر من يد الغاصب أقطارا حبيبة
قم ندافع
عن كيان الامة المستبسلة
خسيء الجاني
وخابت فيه تلك المهزلة

قم ندافع عن بنات العرب
السبايا في بلاد المغرب
يتلقين سياط الظالمين
شامخات الرأس عزما ويقين
أين منهن السيوف العربية
والنفوس اليعربيات الابية
وقلوب ما خبت فيها الحمية

بطش الجاني فلم يرحم كبارا او صغارا
وبنو قومي حيارى
بين نار وحديد ودماء
وبلاء دونه أي بلاء

حطم القيد وخذني يا رفيقي للجزائر
حيث نحميها سويا في الوغى من كل جائر
ونحيي الثورة الكبرى تنادي كل ثائر
ونجدد عهدنا الماضي سموا ومفاخر

ان تكن أنت سليلا للغزاة الفاتحين
فانا من طينة الخنساء أم الثائرين

صور ـ لبنان　　**زهرة الحر**